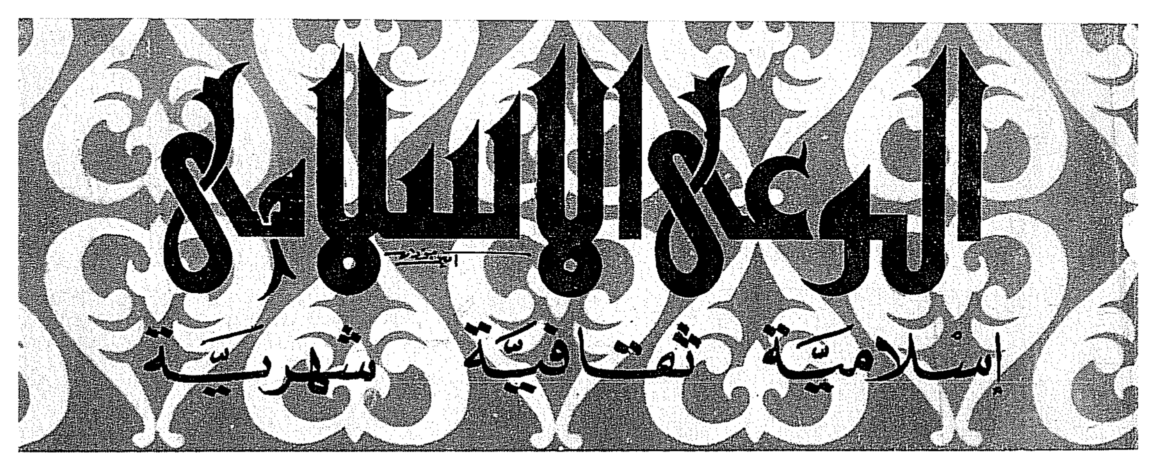


السنة الاولى * العدد السادس جمادى الآخر ١٣٨٥ هـ * اكتوبر ١٩٦٥ م

قصة العدد



زاهد وخليفة ص : ٨٤

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

...

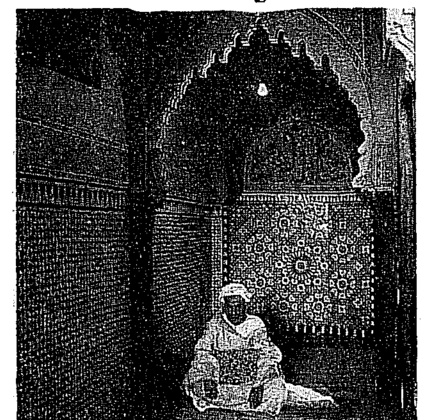
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



جمال الروح وجمال الفن محراب دقيق الصنع بمسجد الرباط بالمملكة المغربيـة .

الثمن

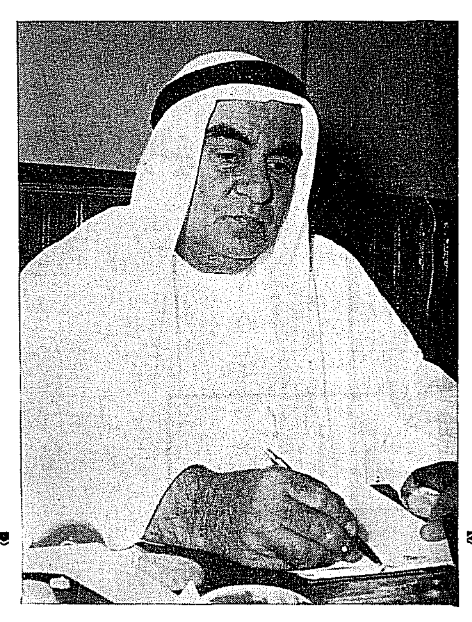
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد



نظمت الاذاعة الكويتية برنامجا تحت هذا العنوان لنشر الثقافة القانونية وتوعية المواطنين ، وقد افتتح هذا البرنامج سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ووزير العدل بالنيابة وألقى الكلمة التالية

المواطن والقانون

يسرني غاية السرور أن افتتح هذا البرنامج الاذاعي الجديد ، برنامج المواطن والقانون ، وهو برنامج ، الغرض منه تعريف المواطنين فى بساطة ويسر بأحكام القانون التي تهمهم فى الأحوال العادية وتبصيرهم بما ينبغي أتباعه فى شتى الامور .

والواقع أن القوانين المختلفة تستهدف تنظيم الجماعة وبيان ما للافراد من حقوق وما عليهم من واجبات .

ولهذا يوضع القانون لحماية الحقوق من العبث والضياع ، وعلى الجميع أن يطيع أوامره ونواهيه حتى تنتظم أحوالهم وتحفظ حقوقهم ، ومن المصلحة أن يلم كل فرد بالاحكام الاولية التي يستأنس بها فى تصرفاته حتى تصدر عنه سليمة صحيحة فيتجنب الكثير من المزالق والجهود والنفقات .

ولهذا يقتضى الصالح العام تزويد المواطنين بما ينفعهم من القواعد القانونية البسيطة وهذا هو الغرض الذى توخاه القائمون بهذا البرنامج والمشرفون عليه . وهو غرض طيب نباركه ونشجعه ونرجو أن يؤتى ثمرته وأن يتحقق من ورائه نفع جزيل للمواطنين .

وأنه ليسر وزارة العدل أن تصبح الثقافة القانونية فى صورتها البسيطة قريبة التناول والانتشار لما يحققه ذلك من امكان فض المنازعات بالطريق الودى والاستغناء عن قضايا عدة كثيرا ما يكون الباعث عليها عدم الالمام بحقيقة الوضع القانوني .

ولما كان البرنامج الذى تقدمه الاذاعة اليوم ، وسيلة حسنة من وسائل نشر الثقافة القانونية وتيسيرها فاننا نتمنى للقائمين عليه التوفيق وتأدية مهمتهم على احسن الوجوه بفضل توجيهات وارشادات رائد النهضة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم



من شهور مضت تقدم أحد اعضاء مجلس الامة بالجمهورية العربية المتحدة بأقتراح الى المجلس يقضى بقطع يد السارق اذا عاد للسرقة ، دون حاجة تضطره الى ذلك .

ولا أريد الان ان أتعرض للاقتراح من ناحية مطابقته التامة للشريعة او عدم مطابقته ولكنى اريد ان أتحدث عن البواعث التي حملت النائب على تقديم اقتراحه وانا أعرف عنه أنه ليس من رجال الدين ولا من المشتغلين بالمسائل القانونية او الدينية ولكنه من العمال المحنكين الذين درسوا الحياة وخبروها فلم يحمله على تقديم اقتراحه – اذن كما قال لى – الا انه وجد فيه العلاج لما يعانيه المجتمع من قلق وخوف نتيجة استهانة اللصوص بعقوبة السجن التي يفرضها القانون ، وتماديهم فى العبث بأمن الناس وراحتهم . والذى نعرفه ان السارق حينما يدخل السجن يتلاقى فيه مع كبار اللصوص الذين يقضون وقت فراغهم فى سرد مغامراتهم ومهارتهم فى سلب اموال الناس ويصنع كل واحد من نفسه بطلا ليضفى على نفسه مهابة امام زملائه ، فيخرج السجين وقد تأصلت فيه روح الشر واكتسب مهارة جديدة فى السلب والتحايل على القانون ، حتى وجدنا لكثير منهم رصيدا من السوابق وأصبح الكثير منهم ايضا معروفا لدى رجال الامن .

وقد أدت هذه الحالة الى ان تصل حوادث السرقة والنشل فى بعض البلاد الى عشرات الالوف بينما هناك آلاف اخرى من الحوادث لم تصل الى علم رجال الأمن ولم تدخل ارقام الاحصائيات ومثل هذا يحصل – على تفاوت – فى البلاد الاسلامية الاخرى حتى اصبح الناس يعيشون فى رعب وفزع ، ويتلفتون حولهم الى علاج رادع يريحهم من شرور هؤلاء العابثين ... وينتظرون من حكوماتهم ان تتخذ موقفا حاسما يوفر لهم الامن والاستقرار .

ومن هنا انبعثت الاصوات فى كل مكان تطالب بأستعمال العلاج الربانى لهذا المرض الاجتماعي وقطع يد السارق ، وقد شجعهم على ذلك انهم رأوا بلدا اسلاميا كان مسرحا للعبث والنهب فصار بعد استعمال هذا العلاج واحة للامن والاستقرار ،

عشت فيه مدة كما عاش الكثيرون غيرى ، وشعرت كما شعروا بنعمة الامان فى ظـل هذا القانون الربانى •

وكان ثمن هذا الامن عدة من الايدى قطعت ربما كانت عشرين أو اكثر ولكن مـا أرخصه من ثمن فى سبيل استقرار المجتمع وأمنه حتى لو كانت ارواح عشرين او مائة من العابثين بالامن هى الثمن لهذا الاستقرار •

اننا نعرف ان بعض الافراد من هذه الدولة الآمنة يتخطون حدود بلادهم ليباشروا انحرافهم فى ترويع جيرانهم وما ذلك الا لأن قانون الجيران يقضى بسجنهم لا بقطع أيديهـم •

ولقد رأينا بعض الدول المتحضرة تقتل من يتلاعب بأسعارها رميا بالرصاص فى الميادين العامة فهل يوجد لنا مبرر فى الاحجام عن تنفيذ قانون القطع ، وقد أصبح علاجا ضروريا فوق انه قانون الله ؟ ؟ ان العالم كله يشيد بالامان الذى وفره تنفيذ هذا القانون فى العصر الحديث ولا يلقى بالا للايدى التى قطعت فى سبيل هذا الامان •

ولقد كان مجرد اعلان هذا القانون وتنفيذه كافيا فى ردع الناس وتوفير الجهود والاموال التي تبذلها الدول الاخرى لتوفير الامن ومطاردة اللصوص ••••

ومع ذلك لم تستطع هذه الجهود والاموال المبذولة توفير الامن للناس كما وفره قانون القطع بل رأينا خطر اللصوص يزداد وجرأتهم تشتد سنة بعد أخرى •

ان الكويت بلد لا تزال قوانينها فى طور الاختبار والتعديل • فلماذا لا تأخـذ بقانون القطع حتى تقضى على موجة العصابات الوافدة التى لم تعهدها البلاد من قبل • وبجوارها تجربة ناجحـة ؟ !

ولماذا لا تعلن الحكومات الاسلامية جميعها عقوبة القطع وتنفذها حتى تقضى على شر اللصوص الذى يأخذ فى الضراوة ؟ لقد جربت قانون السجن مدة طويلة فلم يثمر الا ما نراه ونلمسه ، فلتجرب قانون القطع •••• وسترى انها حققت لشعوبها الامن والراحة ووفرت الكثير من الاموال والجهود •

خذوا بهذا القانون السماوى العادل الرحيم ، لأنه قانون الله الذى خلق النفوس وهو الخبير بعلاجها ولأنها تجربة معاصرة مر على نجاحها أمامنا الآن اربعون سنة ••

جربوا •• والله معكم •

رئيس التحرير

من هدي القرآن

٢ التبني وموقف الإسلام منه

الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم فى جامعة القاهرة

« واذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه، امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه فلما قضى زيد" منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً ※ » .

(سورة الأحزاب : ٣٧)

١٥ : ـ أسلفنا فى مقالنا الأول لمحة موجزة عن التبنى عند العرب ، فى الجاهلية وفى السنوات الأولى بعد مجىء الاسلام ، ثم عن موقف الاسلام منه كما تصوره وتستدل له الآيات الأولى فى سورة الأحزاب(١) .

وفى ذلك المقال وعدنا بأن نقدم فى مقال تال دليلا من التشريع العملى ، على ابطال الاسلام لجميع آثار التبنى . وهذا الدليل ذكرته ـ أو ذكرت قصته ـ آيات أخرى ، فى النصف الأخير من سورة الأحزاب نفسها . وهو زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، مع أن العرب كانوا ينظرون الى المتبنى نظرتهم الى الابن : وكانوا يحرمون مطلقته على المتبنى ، باعتبارها مطلقة ابن ! ..

وقبل أن نذكر الآيات التي قدمت هذا الدليل ، نحب أن نذكر القصة كما وردت فى بعض الآثار التي لم تصح ، وأن نقف قليلا عند نقط الضعف فى سندها ومتنها ، فقد قبلها ـ دون بحث علمي ـ بعض أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين ، واتخذوا منها وسيلة للطعن فى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . ثم قبلها كذلك بعض المسلمين المعاصرين ، وعللوا قبولهم لها بأن فيها تأكيدا لبشرية محمد ، ولتساميه على نوازع النفس البشرية وميولها ! ..

وبين موقف هؤلاء وموقف أولئك ، لنا نحن موقف تدعمه مبادىء الاسلام وأصول الرواية وشروطها ، وواقع الحادثة وظروفها ، وصريح نص القرآن الكريم ومضمونه ! ..

١٦ : ـ أما القصة كما ترويها الآثار ، فهذه هي ، ننقلها على ما فيها ، لننقد متنها وسندها ...

افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا ، فذهب الى منزله يطلبه .

---

(١) انظر العدد الثالث من هذه المجلة .

وهرعت زينب للقائه وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها ، فقالت : « ليس هو ههنا يا رسول الله ، فادخل بأبى أنت وأمى » ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل ، وولى وهو يهمهم (يحدث نفسه) بكلمات ميزت فيها زينب قوله : « سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب (١) » .

(وأقامت زينب فى مكانها ، تفكر فيما سمعته من قول ابن خالها — اذ كانت أمها هي أميمة بنت عبد المطلب ، شقيقة عبد الله والد الرسول — ، حتى اذا جاء زيد كان أول ما لقيته به أن الرسول أتى منزله .

سألها زيد : ألا قلت له ادخل ؟

فأجابت : بلى . قد عرضت عليه ذلك فأبى .

واستطرد زيد مستفسرا : فسمعته يقول شيئا ؟

قالت : سمعته يقول حين ولى : « سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب » .

فأطرق زيد برهة ، ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبى أنت وأمى ؟ .

ثم أضاف متسائلا : فأفارقها ؟

فقال الرسول : مالك ؟ أرابك منها شيء ؟

فأجاب زيد : لا يا رسول الله ، ما رابنى منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم علي لشرفها ، وأن فيها كبرا ، تؤذيني بلسانها !

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك ! ..

١٧ : — هذه هي القصة كما رواها الطبرى فى تاريخه : وصاحب السمط الثمين . وكما قبلتها دون مناقشة الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها نساء النبي (٢) ، بل مضت تدافع عن صحتها دون أساس تعتمد عليه .

ومع احتياط الذين اختلقوا هذه القصة ولفقوها ، ومع حرصهم على ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبح الله ولهج بذكره عندما رآها وهى حاسرة كما يزعمون ، ومع أنهم قد حكوا ما نصح به الرسول زيدا من امساكها والابقاء على زوجيتها — نراهم قد افتضح ما لفقوه على رغمهم : فى كلمات القصة كما صوروها ، وفى وقائعها كما زعموا ! ..

١٨ : — فهم أولا يوردون رؤية الرسول لها على أنها حدث طارىء عليه ، وكأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرفها من قبل . وبعبارة أخرى : هم يدّعون أن الرسول قد فاجأه جمالها حتى لم يجد ملاذا الا التسبيح باسم الله ، وتذكر أنه مصرف القلوب . وفى هذا تجاهل لصلة القرابة الوثيقة التي كانت تربط بينه صلى الله عليه وسلم وبين زينب ، فهى ابنة عمته أميمة ، وهو الذى خطبها لزيد وزوّجها منه ، والتاريخ يسجل أنها كانت تعارض هذا الزواج وترفضه هى وأخوها عبد الله بن جحش ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه بشأنها قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣) وانه قد جرى بينه وبين زينب حديث فى هذا الأمر قبل أن تنزل الآية ، فلما نزلت سألت الرسول : هل رضيته لى زوجا ؟ وأجابها : نعم ،

---

١ — أى محول القلوب ، وموجهها الى حيث يريد .
٢ — انظر ص ١٢٨ — ١٢٩ من هذا الكتاب ، طبعة دار الهلال
٣ — الآية ٣٦ فى سورة الأحزاب .

قد رضيته ! فقالت : قد أنكحته نفسي ! ..

أيتصور بعد هذا كله أن جمالها قد فاجأه عندما رآها في دار زيد كما تقول الرواية ، فوقع حبها في قلبه ؟ .

١٩ : ــ وهم ثانيا يدعون أن زينب قد لقيت الرسول دون أن تستكمل ثيابها (وفي رواية أخرى أن الريح قد رفعت الستارة المصنوعة من الشعر ، وهي التي كانت على باب زينب ، فرآها الرسول وهي حاسرة) . وهم اذ يدّعون هذا أو ذاك ينسون أن ورع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعه من أن ينظر ، وأن ما عرفت به زينب رضي الله عنها من تمسك شديد بأوامر دينها يمنعها من أن تستقبل الرسول وهي غير مستكملة ثيابها .

ويبدو أن الذين وضعوا الرواية الثانية كانوا أعرف بفن الوضع ، فجعلوا الريح ترفع الستارة ، على رغم زينب ، حتى يقع نظر الرسول عليها دون أن يقصد الى النظر . لكنها مع هذا ملفقة مصنوعة ، مدسوسة على الرسول وعلى زينب معا : وحسبنا أنها لم ترو الا عن عبد الرحمن بن زيد ، وهو ضعيف جدا لاتقبل روايته عند جميع رجال الحديث(١) ! ..

٢٠ : ــ وهم ثالثا لايلبثون أن يفتضح أمرهم ، عندما يحكون قصة لقاء زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دار فيها من حديث . فهم يدعون أن ما دار بينهما من حديث كان هكذا :

(يا رسول الله ، بلغني أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبي أنت وامي ؟ !) ثم أضاف متسائلا : (فأفارقها ؟) .

وهنا نحب أن نقف قليلا ، لنتساءل عن سر هذا الانتقال المفاجيء ، من حديث عن ذهاب الرسول اليه في منزله : الى عرض لاستعداده أن يفارق زوجه ، مكنيا عنها بضميرها . فهل كل من زار انسانا في منزله فلم يجده ، يذهب اليه ذلك الانسان ليعرض عليه استعداده لفراق زوجه ؟ ومن أجل ماذا ؟

لنقرأ باقي الحديث كما تذكره الرواية ...

لقد سأله الرسول : أرابك منها شيء(٢) ؟

فأجاب : لا والله يا رسول الله ، ما رابني منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم على لشرفها ، وان فيها كبرا تؤذيني بلسانها ! .

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك !

٢١ : ــ أما انه اذا كان مما قيل : « يكاد المريب يقول خذوني » ــ فان المريب في قصتنا قد قالها فعلا ، وفضح نفسه دون أن يدري ! لقد حكى واضعو تلك الآثار ــ وهي من الاسرائيليات قطعا ــ ماكان من رجاء زيد أن يكون الرسول قد دخل بيته : عندما زاره فلم يجده . لكنهم انتقلوا ــ دون رابط على الاطلاق ــ الى عرضه أن يفارق زينب ، كأن فراقه لها أمر يهم الرسول أن يقع ، ويتمناه في قرارة نفسه ! ولما سأله الرسول عما اذا كان يشك في شيء من تصرفاتها ، بادر فنفى كل شك ، وأكد أنه لم ير منها الا خيرا ، ثم شكا تعظمها وتعاليها عليه بشرفها ، وكبرها ، وتعييرها اياه بماضيه في الرق . وأجاب الرسول على عرضه في قوة وحسم : أمسك عليك زوجك ، تعبيرا عن عدم اقتناعه بوجاهة ماذكر من أسباب لفراقه اياها .

واذن فلا مناسبة لعرض استعداده لفراقها عقب حديثه عن مجيء الرسول

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد : جـ ٥ ص ٤١٣ ، وفي تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ١٧٧ – ١٧٩ .

(٢) يقال رابه الشيء اذا أثار شكه . ومنه : دع ما يريبك الى مالا يريبك .

الى منزله : مادامت أسباب الفراق لاعلاقة لها بالرسول !

٢٢ : — على أن لنا هنا وقفة أخرى . . . عند نقطة نراها جديرة بأن تعرض ، ويبسط القول فيها .

لقد كان العرب حتى ذلك التاريخ يرون أن التزوج بمطلقة المتبني لا يجوز ، لأن له حقوق الابن . وكان القرآن قد نزل بابطال التبني ، وابطال جميع ما يرتبونه عليه من آثار ، لكن التشريع العملى الذى يواجه المجتمع بهذا لم يكن قد نزل بعد . ففى ظل أى المفهومين وضعت تلك الآثار ؟ . .

نحب أن ننبه أولا على أن جميع ما ورد من آثار تحمل تلك القصة الملفقة لم تصح من ناحية السند ولم ينسب واحد منها — أى واحد — الى صحابى . ونحب ثانيا أن نشير الى أن جميع المفسرين الذين أوردوها قد نقلوها عن الطبرى ، دون أن يعنوا بالبحث فى أسانيدها ! ونحب ثالثا أن نسجل — مع التقدير — موقف المفسر العالم ، والحافظ المحدث، ابن كثير الذى لم يرو شيئا منها ، لا لأنها لم تبلغه ، ولكن لأنه يراها غير صحيحة . انه يقول : (ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير (الطبرى) ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها ، فلا نوردها(١)) .

ونعود الى بحث المفهوم الذى وضعت فى ظله تلك الآثار ، فلا نجد لها مكانا على مفهوم العرب ، وحرمة زوجة المتبنى على متبنيه بعد طلاقها ، لأنها حينئذ بمنزلة ابنته ! . ولا نجد لها مكانا كذلك على المفهوم الاسلامي ، الذى يبيح للمتبنىً التزوج بمطلقة متبناه ، لأن الله عز وجل حينما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالزواج من زينب ، ليبطل بهذا الزواج كل أثر للتبنى ، لم يزوجه اياها لأنه وقع الاعجاب بها فى نفسه كما تقول الآثار . ألم يقل الله عز وجل لرسوله بهذا الشأن : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، **لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** » ! ؟ ، فقد حدد الله عز وجل الغاية من هذا الزواج ، ولم يدعها للاسرائيليات تصورها بالصورة التي تسيء بها الى محمد صلى الله عليه وسلم ! . .

٢٣ : — نعم ، جاء فى الآية التي حددت الغاية من ذلك الزواج تعبير أخطأ بعض المفسرين فهم المراد منه ، فلم يوفقوا فى تفسير الآية ، ولم يهتدوا الى الحقيقة . هذا التعبير هو قوله عز وجل : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » . ونحن نكتفى فى تفسير هذا التعبير وبيان المراد منه بما رواه ابن أبى حاتم ، قال : (حدثنا أبى ، حدثنا علي بن هاشم عن مرزوق ، حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، قال : سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما : ما يقول الحسن فى قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ، فذكرت له ، فقال : لا ، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » فقال : قد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك) .

على أنا نضيف أن الله عز وجل قد وصف ما يخفيه صلى الله عليه وسلم

البقية على ص ١٥

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩١ طبعة عيسى البابي الحلبي .

لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

صمام امن الحياة وسبيل النجاة في الآخرة في ثلاث

حب الله ورسوله ، والتحاب فى الله ، وكراهة الرجوع الى الكفر بعد الايمان .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان)) .

أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما : وان يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار)) .. رواه البخارى .

١ ـ راوى هذا الحديث هو أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه ، كان خادما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أثر عنه قوله ((خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي فى شيء فعلته لم فعلته ، ولا فى شيء تركته لم تركته)) . وجاءت أمه يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادع لخويدمك أنس بكثرة المال والولد وطول العمر ، فقال الرسول الكريم عليه السلام ((اللهم اكثر ماله وولده ، وبارك فيه ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه)) واستجاب الله لنبيه دعاءه لأنس ، فقد روى أنه عاش ما يقارب المائة عام ، وكان له نخل وبستان يجني منه ثمارا كثيرة ، ونسل له أولاد عديدون ، يقول أنس : قد حقق الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ، وأرجو أن تتحقق لي المغفرة يوم يقوم الاشهاد .

٢ ـ الخلال الثلاث التي وردت فى هذا الكلم الطيب كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم هي صمام الأمن فى الحياة الأولى والآخرة ، فقد جمعت أطراف الخير وملكت نواصيه ، وفى الوصول اليها والحصول عليها والاتصاف بها لذة روحية وسعادة نفسية وراحة قلبية وأمان من كل ضر ، ثمرتها حلاوة الايمان ، والقرب من الديان والانتظام فى سلك أوليائه الذين عرفوه ففنوا فيه ، وتعلقت آمالهم برحابه ، وصقلت قلوبهم بصقاله فلا يصدرون ولا يوردون الا عن طريقه القويم ، ولا يدرجون الا فى سبله المستقيمة التي لا تميل يمنة ولا يسرة مهما لوح لهم بما يلهي غيرهم من عرض وجوهر ، فما العرض والجوهر الا من واديه ، ولا يعرف كنه الشيء الا مبدعه من لا شيء ، يقفون عند الحد المرسوم ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه)) ويمضون بعيدا عن مدار النهي ((ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))

ان لان لهم المسلك واستنار ، قالوا

هذا فضل ربنا ، وان تحول شائكا مستعصيا معنتا او قاتلا قالوا : صبرا فالموعد الجنة والراحة هناك « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » وتساوت لديهم بأساء الحياة ونعماؤها ، ما دامت حلاوة الايمان تعمر قلوبهم ، وتسكن اليها نفوسهم ، وتنتشي بها أرواحهم، وأولئك هم الذين يمضون فى الطريق طريق رسل الله ، حملة رسالته وأمناء وحيه ، غير هيابين ولا وجلين ، يمرون بالحياة مرور الكرام يصلحون ولا يفسدون ، يحسنون ولا يسيئون ، يقدمون الخير للبشرية ولا ينتظرون الجزاء العاجل منها ، هم ملح الحياة وأساتها ، وقادتها الحقيقيون وسادتها ، لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، والا لهلك الحرث والنسل وانهار بنيان الوجود ، هم شموع على الطريق تضيء للسالكين ، وبدور تمحو دجية الليل البهيم ، غيوث أينما حلوا أرووا ، وحيثما هطلوا أثمروا ، وليوث عرينهم محمي ، وحماهم مصان « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »..

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا .. وان الله لقوى عزيز » ..

وهم منبثون فى أرض الله ، قد تراهم ولا تعرفهم ، وقد تعرفهم ولا تلقي اليهم بالا « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » لهم صفات تحدثت عنها سورة الفرقان قرب نهايتها وعددتها دون حصر فاتحتها « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وخاتمتها الجزاء الأوفى فى رحاب من أحبوا ومن احتسبوا عنده بلاءهم وابتلاءهم « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » لا يريمون الموضع الذى اختاره حبيبهم لهم ولا يبرحونه « خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » وما أحسن المستقر وما أجمل المقام .

٣ ــ ثلاث خصال خص المتصفون بها بهذا الفضل لأنها من أعمال القلوب لا يجد الرياء اليها سبيلا ، ولا يطلع عليها الا علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى فهي خالصة لله ، المتخلقون بها يعبدون الله ولا يشركون به شيئا « مخلصين له الدين » .

وهذه الصفات الثلاث

١ ــ أن يقدم العبد حب الله ورسوله على كل شيء .

٢ ــ أن تقوم العلاقات بين الأفراد على اللقاء تحت كلمة الله ورسوله .

٣ ــ النتيجة الحتمية لصدق حب الله ورسوله والحب فيهما هي كراهية ما يبعد عن ساحتهما وبالتالي اتقاء ما يلقى بصاحبه فى السعير وهو الكفر بعد الايمان ، فمن أحبهما وأحب فيهما أقام على الاسلام وفني فيه وشطن عن كل ما يحول بينه وبينه ، وحفظ نفسه من الكفر كما يحفظها من النار والدمار .. ولنأت على تفصيل القول فى هذه الخلال الثلاث واحدة واحدة ، ونبدأ بالتي بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : هذا الكلام الموجز الدقيق ، ألقى أول ما ألقى وبرز الى الوجود أول ما برز الى صحابة رسول الله من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا كان موقفهم منه ؟ هل قالوا ان فى حلاوة الايمان استعارة بالكناية ، وأن اثبات الحلاوة تخييل .. الى آخر ما هنالك من لغويات ؟ لا ــ لم يفعلوا شيئا من هذا، لأنهم يعونه بفطرتهم، ويعرفونه بسليقتهم العربية الخالصة ولسان حالهم يقول :

ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليقى أقول فأعرب

ولأنهم لا يهتمون بالشكل اللفظي ، وانما بجوهره ومعناه ، وجوهره ومعناه ينسابان الى قلوبهم انسيابا يجعله مدركا

بالجنان والبصائر ، فيبحث كل سامع في دخيلة نفسه عما يتعارض مع حب الله ورسوله من مال وولد ووالد ونفس ونفيس فينقي منه قلبه ووجدانه ، ليحل هناك في القلب والوجدان حب الله ورسوله ((قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين)) .

وحب الله مرتبط دائما بحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) كما ارتبطت طاعة الله بطاعة رسوله ((يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) .. ((ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)) .. وكان هذا الارتباط الوثيق لأن الله سبحانه هو مصدر الشريعة وموحيها ، والرسول هو المختار لتبليغها وايصالها الى البشرية جميعا ((يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)) .

لماذا نحب الله ورسوله ؟

١ ــ أما حبنا لله تعالى فمبعثه أن الله تبارك وتعالى هو الذى خلقنا وهو الذى بيده مقاليد أمورنا ((لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)) هو مدبر أحوالنا وهو رازقنا ((ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)) وهو المالك لكل شيء ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)) وهو المعبود بحق ، لا اله في الكون كله الا هو ، فلا شريك له ولا ند ولا مشابه .

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ولنتساءل من الذى أوجد الكون من العدم ؟ من الذى يجرى الفلك ؟ من ذا الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ؟ من يعاقب الليل والنهار ؟ من يأتي بالشمس من المشرق ؟ من يحيي ويميت ؟ ومن .. ومن...التي لا تنتهي. جوابها واحد هو الله سبحانه وتعالي (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

ان نظرت الى السماء هالتك نجومها ، وان تأملت نبات الأرض بهرتك أشكاله وألوانه : واذا فكرت في البحار وعوالمها لم تسبر غورها ، وناهيك بالجبال والرمال والوديان والصحارى وما أجنت الأرض في بطنها وما حملت على ظهورها ، كل ذلك يتساوق في نظام دقيق مدبر محكم بديع ذلك تقدير العزيز العليم .

٢ ــ أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذى فتح العيون العمى والقلوب الغلف والآذان الصم على آيات الله ، وجاء بالتشريع والتنظيم لحياة الانسان في جميع صورها وأشكالها وتحدث بما أوحى اليه عن أسرار الوجود وما بعد الحياة وهدانا الله به الى الصراط المستقيم .

فاذا لم نحب الله ورسوله فمن الجدير بالحب بعدهما .

أما كيف يكون حبهما وما هو الحب المطلوب منا في هذا الحديث وغيره وماذا أنتج حبهما مع الصحابة الكرام وماذا يجب أن ينتج معنا كل هذه التساؤلات في العدد القادم ان شاء الله جوابها وهو سبحانه الموفق والمستعان .

بأنه هو مبديه ، فهل أبدى الله عز وجل أنه قد أحب زينب ، ومن أجل هذا الحب زوجه إياها ؟ ولماذا اذن قال : « ... لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » ؟ ! ..

تعالى الله عن أن يتناقض كلامه فى كتابه ، أو يختلف ..

٢٤ : ـ بقى ما تمسكت به الدكتورة بنت الشاطىء ، ودافعت عنه فى حماس، وهو بشرية الرسول ، ومحاولتها قبول تلك الآثار باسم هذه البشرية .

ونحن لا ننكر بشرية الرسول ، لكنا لا ننسى أنه معصوم عن الخطأ . والذى لا نشك فيه كما أسلفنا أن جمال زينب لم يفاجىء الرسول ، وكيف وهو منها بمنزلة ولي الأمر ، وهي ابنة عمته اميمة بنت عبد المطلب ، وهو الذى خطبها لزيد وزوجها منه ؟ كذلك لا نشك فى أنه لم يكن من خلق الرسول أن ينظر الى امرأة يعلم أنها حرام عليه ، والا فلماذا لم يعرف ذلك عنه الا فى قصة زينب على ما يزعمون ، مع أن زواجه بها بعد طلاقها من زيد اثار زوبعة فى المجتمع العربى ، مصدرها أنه تزوج امرأة كانت ذات يوم زوجة ابنه ؟ وشىء آخر ، هل تعد القصة ـ كما نقلتها الينا الآثار الموضوعة ـ مفخرة لمحمد وللاسلام ؟ ان الدكتورة الفاضلة تقول هذا ، بعد أن تذكر أن القصة نقلها الينا رواة غير متهمين ـ ولا ادرى من أين جاءت بهذا الحكم العجيب ، وكيف جرؤت عليه دون دراسة لهؤلاء الرواة ـ ، كما تذكر أنها (أى القصة) ترتفع برسولنا عليه السلام الى أقصى ما تطيقه بشرية من عفة وضبط نفس **واعتقال للهوى ! ! ،**

فما ادعى نبينا قط أن قلبه بيده يصرفه حيث شاء ، ولا زعم مرة أنه مبرأ من عواطف البشر ، منزه عن أهوائهم ! ! !

ولا تنسى الدكتورة أخيرا أن تذكر أن كل ما وجه للقصة من نقد يكفي للرد عليه ما قاله الزمخشرى فى تفسير الآية . ومع اجلالنا لهذا المفسر لانستطيع أن ننسى جانبا هاما من جوانب ثقافته وعلمه ، هو أنه لم يكن من رجال الحديث ، فليس محدثا ، ولا حافظا ، ولا علم له بالرواة تجريحا وتعديلا . ومن ثم لايعدو فيما ذكر أن يكون ناقلا عن الطبرى(1) ! ..

٢٥ : ـ أما الطبرى نفسه ، وهو الذى نقل عنه سائر المفسرين ، فقد كان يورد الصحيح من الآثار وغير الصحيح ، فى تفسيره وفى تاريخه معا . ويترك للقارىء مهمة دراسة أسانيده التي يذكرها ، والحكم على الآثار بالصحة أو بالضعف نتيجة لهذه الدراسة . وقد أورد هذه القصة مروية عن قتادة بسند صحيح ، وعن عبد الرحمن بن زيد . فأما قتادة فهو من تابعى التابعين ، وقد كان تلميذا لمجاهد ، ومجاهد تلميذ لابن عباس رضى الله عنهما ، ومع ذلك لم يرفع هذا الأثر الى أحدهما ، مع أنه خطير فى مدلوله لاتصاله بشخص الرسول ، ويدل هذا على أنه مجرد رأى له فى تفسير الآية ، وهو رأى يجب أن يرفض ولا يقبل ، لعدم اتفاقه مع ما هو مقرر من عصمة الرسول .

وأما عبد الرحمن بن زيد ، فقد اتفق نقاد الحديث على تجريحه وعدم قبول ما يرويه . وحسبنا أن نذكر رأى الامام مالك فيه هنا ، ليعلم مقدار ضعفه ، فقد روى عن الشافعى أن رجلا ذكر لمالك حديثا منقطعا ، فقال له مالك :

(١) تجد ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/٨١ ، وارشاد الأريب : ٧/١٤٧ ، ولسان الميزان ٤/٦ ، والجواهر المضية ٢/١٦٠ ، وغيرها .

اذهب الى عبد الرحمن بن زيد ، يحدثك عن أبيه ، عن نوح عليه السلام (١) ! ..

فما رواه الطبرى من آثار هنا ، هو اذن اما موضوع لا أساس له من الصحة، واما رأى لتابعي متأخر يحتمل فيه الخطأ ، وهو خطأ لا يحتمل الصواب ، لمنافاته لصريح القرآن ، ولعصمة الرسول ! ..

٢٦ : ــ بقى الرأى الذى رجحه الطبرى فى تفسيره ، وذكره بقوله : (وذلك أن زينب بنت جحش ــ فيما ذكر ــ رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبته وهى فى حبال مولاه ، فألقى فى نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ماوقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك) ، وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه ، لينكحها . (واتق الله) ، وخف الله فى الواجب عليك فى زوجتك . (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) يقول : وتخفى فى نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها ، والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يقول تعالي ذكره : وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس (٢) .

ونلاحظ أنه قد تحفظ وهو يبني تفسير الآية على الآثار ، فقال : وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها الخ ، لكنا نأخذ عليه أنه نسب الى الرسول نصحه لزيد بغير ما يحب هو ، وأن الرسول قد أحب زينب وهي فى حبال مولاه ، وأن ما عتبت الآية على الرسول اخفاءه كان هو محبة أن يفارقها زيد ليتزوجها هو ، وأن ما خشى الناس فيه كان هو قولهم انه أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها بعد الطلاق ! نأخذ عليه هذا كله لأنه اضطراب منه فى تفسير الآية : ثم لأنه لايتفق مع ما عرف يقينا من أخلاق الرسول ، ولا مع ما تقرره الآية من أن الله قد زوجه اياها **لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا !** ..

ومرة ثانية ، رضى الله عن ابن كثير الذى رفض أن يقبل تلك الآثار ، وفسر الآية على نحو سليم لايناقض المقرر من مبادىء الاسلام ، وليس فيه تجن على أخلاق الرسول ، ولا على ما يجب له من العصمة ! ..

٢٧ : ــ وبعد ، فقد كانت زينب رضى الله عنها متعلقا لحكمين شرعيين كلاهما جديد على المجتمع العربى . أولهما هو تحطيم تلك الفوارق الوهمية التي كانت تمنع بعض الأسر من مصاهرة بعضها الآخر ، اذ كان زواجها من زيد وهو مولى أعتقه ثم تبناه الرسول ، مع أنها كانت من أشرف بيوتات قريش وأعرقها ــ ايذانا بأن المسلمين سواسية، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم له .

والحكم الثاني هو ابطال آثار التبني، فقد كان العرب ــ قبل أن يبطل الاسلام التبني ــ ينظرون الى المتبني على أنه ابن ، فلا يرون بأسا فى أن يخلو بزوجة من تبناه ، وبناته ، ثم هم يحرّمون عليه وعلى أنفسهم ما يحرُم بسبب البنوة النسبية الحقيقية ، ثم يرثونه اذا مات قبلهم ، ويرثهم اذا ماتوا قبله . فلما حكم الله ببطلان التبني ــ بطلت كل هذه الأحكام ، وأصبح المتبنى غريبا على أسرة

(١) ترجمه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٤١٣ ، وابن حجر العسقلاني فى تهذيب التهذيب : ج ٦ ص ١٧٧ ــ ١٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢٢ ص ١٠ من الطبعة الأولى ببولاق .

متبنيه . فلا تجوز الخلوة ، ولا تحرم المصاهرة ، ولا يثبت الميراث . وأراد الله أن يعزز هـذا بتشريع عملي فاختـار رسوله محلا لهذا التشريع ، وكان زيـد متبناه فيما سبق قد طلق زوجه زينب بنت جحش ، فأمر الله رسوله أن يتزوج منها . ولما ثارت ضجة بسبب هـذا الزواج ، وقالـوا : كيف يتزوج مطلقة ابنه ــ نزل قوله تعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ولما تحرج الرسـول وخشى الناس قبل الزواج ــ نزل قوله تعالى : « ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشـون أحـدا الا اللـه ، وكفى بالله حسيبا » ! ..

وهكذا اخـتار الله زينب رضى الله عنها ، ليشرع فى زيجتها حكمين جديدين فى الاسلام ! ..

٢٨ : ــ لاحـب هنـالك اذن ، ولا اعجاب ! انما هو التشريع الالهي لابطال آثار التبني بطريقة عملية ، ينفذها قبل الناس جميعا المسلم الأول . وينفذها فى آل بيته لافى غيرهم ، فان زيدا كان أقرب الناس اليه ، منذ آثـر البقاء معه على العودة مع أبيه وعمه . وزينب هي ابنة عمته أميمة ، جدها لأمها هو جده لأبيه : عبد المطلب . ولو كان فى زواجه صلى الله عليه وسلم بها أدنى حرج لما أقـدم عليه ، لكن الله أمره به ، ونفى عنه الحرج فيه . وكان هذا هـو منطـق الفطرة المستقيمة مادام زيد هـو ابن حارثة ، وليس ابن محمد ! ..

وقد تتساءل يا أخي : وما لنا نحـن وهذه القصة ؟ .. وما الذى نفيده من الحديث عن التبني الآن ؟ .

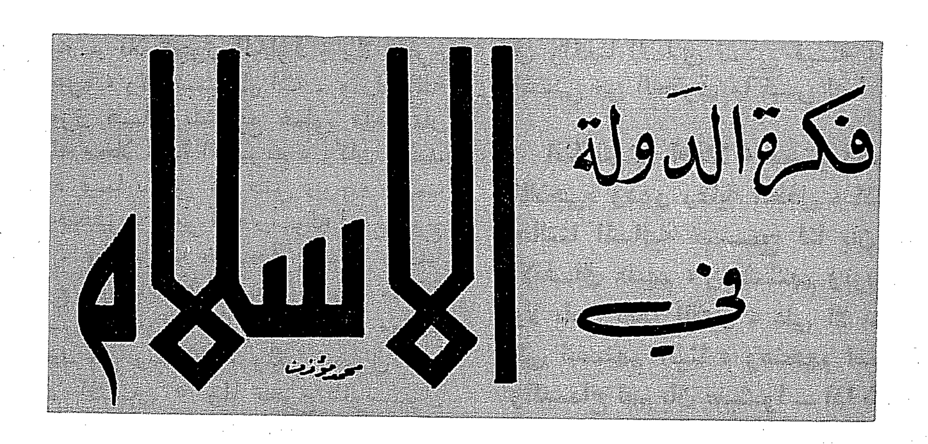
ولا أبادر باجابة عن هذا التساؤل ، فانى أرجو أن تجـد أنت الجواب عنه ، فى واقعنا الـذى نتبنى فيـه ، ونمنح المتبني من الحقوق ما ليس له ! .

انا نتبنى أطفالا ، نستوردهم مـن الملاجىء ودور رعاية الطفل ، اذا كانت حالتنا المـالية تسـمح لنا بأن نتولى الانفـاق عليهم ، وتنشئتهم وتربيتهم . ولا بأس بهذا القدر ، على ألا نتجاوزه الى نسبتهم الينا ، ومنحهم أسماءنا ، والسماح لهم بأن يعيشوا ــ اذا شبوا ــ مع زوجاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وقد تفرض عليهم ظروف المعيشـة معنا ان يخلوا بهن ، مع أنهم غرباء عن الأسرة ، وأجانب ، فـلا يحل لهم أن يروا مـن نسائها أحدا الا للضرورة ، وبشرط أن تكون ملابسهن سـابغة لاتكشف مـن مفاتنهن شيئا ! .. وعلى ألا نحرّم عليهم الزواج ببناتنا ، وأخواتنا ، ومطلقاتنا ، ولا نحرّم على أنفسنا الزواج بمطلقاتهم وبناتهم ! ..

كذلك لا يحل لهم أن يدخلوا بيوت متبنيهم الا أن يؤذن لهم ، ماداموا قـد بلغوا الحلم . وليس من حقهم أن يرثوا متبنيهم ، وليس من حـق متبنيهم أن يرثوهم . ولعل فى الهبة ، والوصية ، والهديـة مجالا فسـيحا أمام المتبنين لبرهم والرحمة بهم ، ومكافأتهم على ما عسى أن يكونوا قد قدموا لهم من أعمال وخدمات ، فان الاسلام هو دين الرحمة والبر ، ودين المحبة والسلام .

تصحيح

صورة غلاف العدد السابق لمرقد الامـام ــ الحسين رضى الله عنـه وليست لمسجد الامام علي كما نشر ، فلزم التنويه .



الفكرة الغربية عن الدولة هي أنها أرض وشعب وحكومة ، فمتى توافرت هذه العناصر المادية تم نشوء الدولة .

هذا هو التصوير الغربي للدولة ، فهل هناك تصوير اسلامي يقابله ، وهل قنع التصوير الاسلامي بهذا الهيكل المادى البحت الذى اقامه التصوير الغربي . وقبل ذلك هل اتخذ الاسلام باعتباره دينا سماويا موقفا ايجابيا فى أمر الدولة وبنيانها ونظامها ؟

الفكر السياسى الغربى يرى أن الاديان السماوية ليس لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم . فهذه من شئون الدنيا ، التي ينفرد البشر بتنظيمها ، على أساس ان ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، ومع الاستعانة أحيانا على حسن قبول هذا التنظيم باثارة بعض تعاليم الدين الخلقية .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان ، وهو البصير بما سوف يفضي اليه تطور الانسانية ، كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها ، فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية . فوضع الأصول التي يجب على كل مجتمع انساني أن يسير فى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، على ضوء تطورات كل زمان ، ما دام ذلك فى نطاق هذه الأصول العامة .

والاسلام مع ذلك يقر الهيكل المادى للدولة كما يصوره الفقه الغربي فى عناصره الثلاثة ــ أرض وشعب وحكومة ــ لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطار من روحانياته ، يتمثل فى هذه الأصول العامة التي فرضت تعاليم كلية ، خلقية واقتصادية وسياسية . ثم يتخذ فى أحد هذه العناصر المادية ــ عنصر القومية ــ اتجاها اوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

وسنبدأ (أولا) بهذه التعاليم الكلية التي ترسم هذا الاطار الروحي ، لأن هذا الاطار هو الذى يكيف بنيان الدولة الاسلامية فى جميع

أوضاعه التنظيمية وجزئياته المادية . ثم نعقب (ثانيا) بنظرة موجزة فى عناصر الهيكل المادى الذى يقتصر عليه التصوير الغربى .

تعاليم كلية يجب أن تتسـاند فى بنيان الدولة الاسلامية . خلقية واقتصـادية وحكومية

للدكتور محمد عبد الله العربى

هذه الأصول العامة فى أمر الدولـة تناولت تعاليم يعتبرها الشرع الاسلامي فى مرتبة الفرائض الالزامية .. تعاليم خلقية ، وتعاليم اقتصادية ، وتعاليم حكومية . ولا يمكن الكشف عـن فكـرة الدولة فى الاسلام الا بضم هذه الفصائل الثلاثة من تعاليمه جنبا الى جنب لأنها متعاونة متساندة ، وكل منها تتأثر وتؤثر فى نفاذ الاخـرى . فبغير التعاليم الخلقية يختل النظـام الاقتصـادى ، ويتسرب الفساد الى النظام الحكومي ، وبغير التعاليم الاقتصادية ينهار كيان المجتمع ، وبغير التعاليم الحكوميـة يتعذر انفاذ مـا تقضى بـه التعاليم الخلقية والتعاليم الاقتصادية .

وهذا التساند فى الفصائل الثلاثة هـو ميزة النظام الاسلامي على جميـع النظـم الوضعية السابقة والمعاصرة .

التعاليم الخلقية

أما فى التعاليم الخلقية فدعامتها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، لا يعبد صنما ولا مخلوقا ولا هوى من الأهواء . والاسلام جعل الانسان خليفة الله فى الأرض ، فوضـع كرامة الفرد على أمتن اساس ، وجعل قيامه على الفضائل نتيجة منطقية لهذه الخلافة . ثم لـم يقتصر على هذا التوجيه الوجداني ، بل اتجه اتجاها عمليـا لتحقيق هـذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعّال على تدعيم هـذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابـة الالهية على نشاطه اليومي .

التعاليم الاقتصادية

وأما فى التعاليم الاقتصادية فقد جعل من كل مجتمع اسلامي بيئة تعاونية ، مفروضا عليهـا أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادى ، متعاونة متكافلة ، على أساس نظر الاسـلام الى المـال والعمل .

أما نظرته الى المال فهي أن المال كله ملك لله وحده ، الذى له ملكوت السموات والأرض وخالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وخالق الشيء هو مالكه . وأما الانسان فى اختصاصاته ببعض هذا المال فليس الا خليفة اللـه فيه . استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب عليه أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، ويحسن القيـام بتكاليفها .

وهي اما تكاليف ايجابية تشمل (اولا) فريضة الزكاة التي حـدد الاسـلام نصابها ومصارفها وتشمل (ثانيا) فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهي أوسع نطاقا من فريضة الزكاة ، لأنها تمتد الى كل انفاق فى سبيل مصلحة المجتمع ، وتشمل (ثالثا) وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتـاج ، حتى يسـاهم بهذا الاسـتثمار فى تنميـة الثـروة القوميـة ، فاذا احجم عن هذا الاستثمار جاز للجماعة أن تسترد منه ما ملك . وأما التكاليف السـلبية فأولها كف المالك عن استعمال ماله فى الحـاق الاذى أو الضرر بمصلحة الغير فردا كان او جماعة، ويتفرع عن هذا التكليف تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة . وثانيها تحـريم الربا ، وقد اعترف الاقتصاد الغربي الآن بمساوئه

فكرة الدولة فى الاسلام

الخطيرة ، وثالثها تحريم الاسراف والشح على السواء .

وأما نظرته الى العمل فالاسلام يقدسه ، ويدعو الى الجد والاتقان فيه ، ويضفى على كل عمل نافع صبغة تعبدية ، فى ظل رقابة الهية توجه نشاط كل فرد الى نفع ذاته ونفع المجتمع على السواء .

والاضطلاع بهذه التكاليف يؤدى – فى المجال الاقتصادى – الى نتائج تميز المجتمع الاسلامي عن سائر المجتمعات المعاصرة ، وتيسر مهمة الدولة فى بلوغ اهدافها .

فالنتيجة الاولى هي اجازة ملكية المال – أو بالتعبير الأصح ملكية منفعة المال – بغير قيد الا القيام بتكاليف هذه الملكية من ايجابية وسلبية . واذن يستقيم هذا الوضع مع غريزة الانسان الفطرية فى تملك المال له ولعياله ولذريته من بعده ، لرفع مستواه ومستواهم المعيشي عن طريق الكسب المشروع ، ولابتغاء ثواب الآخرة بالانفاق فى سبيل الله . كما ان من مقتضى هذا الوضع ان تجد الأمة الاسلامية فى هذه التعاليم الاقتصادية اكبر حافز لها على تزكية الانتاج وتنمية الثروة القومية .

والنتيجة الثانية هي ضمان حسن توزيع الثروة بين افراد المجتمع . لأن فضول مال الأغنياء قد فرض الاسلام لها مصارف سنوية بالزكاة والانفاق فى سبيل الله ، مما يحول دون تكدس الثروة عند فئة قليلة تفسد أجهزة الحكم وتمحق حريات الشعب . كما ان نظام الارث يؤدى الى توزع ما تجمع من الثروة بعد أداء كل هذه الفرائض .

والنتيجة الثالثة هي قيام التكافل بين افراد المجتمع الاسلامي . وهذا التكافل التعاوني بين جميع الطبقات من شانه ان يفضي الى تماسك القوة الشرائية ليتحقق التوازن المفقود فى الاقتصاد الغربي بين الانتاج والاستهلاك ، وما يعتريه من اجل ذلك من أزمات اقتصادية خانقة .

هذا عن تعاليم الاسلام الاقتصادية فى جوهرها واصولها العامة .

التعاليم الحكومية . أصول عامة قابلة للتفصيل والبناء عليها

وأما فى التعاليم الحكومية فقد أمر الاسلام بأن تقوم فى كل مجتمع هيئة تتولى زمام تنظيمه السياسى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

فأول ما يفرضه هذا الارشاد الالهي على أى مجتمع اسلامي هو اقامة هيئة فيه تضطلع بأداء وظائف ثلاثة :

الوظيفة الاولى هي الدعوة الى « الخير » . والدعوة الى الخير اذا قامت بها الهيئة ذات السلطان فى المجتمع فليس معناها الاكتفاء بالدعوة، بل العمل الايجابى على تحقيق مقتضيات الخير للمجتمع . واذن فالدولة الاسلامية لن تكون الا دولة « خيّرة » ، دولة شعارها تحقيق فلاح المجتمع فى كل آفاقه . وهو ما يحاول الفقه السياسي الحديث فى الغرب أن يصل اليه . ولا ننسى النداء الذى يوجه الى المسلمين كافة حكاما ومحكومين فى كل صلاة : « حي على الفلاح » .

الوظيفة الثانية لهذه الهيئة هي الأمر بالمعروف، « والمعروف » هو كل الأصول الكلية التي فرضها الاسلام لصالح المجتمع الاسلامي ، وكل ما ينبنى عليها ويتفرع منها .

الوظيفة الثالثة هي النهى عن المنكر ، « والمنكر » هو كل ما نهت عنه هذه الأصول

الكلية ، وكل ما يقاس عليهـا فى الحاق الضرر بالمجتمع .

هذه هي الوظائف الثلاثة للهيئة التى تتولى زمام الحكم فى المجتمع الاسلامي : انفاذ الخـير وتحقيق الفلاح فى المجتمع ، والأمر بالمعـروف ، والنهى عن المنكر .

واما كيفية تكوين هذه الهيئـة التي تتولى الأمر وزمام الحكم فقد اكتفى بأصل كلى واحد هو الشورى (وأمرهم شورى بينهم) فالمجتمع يجب ان يستشار فى تكوين هذه الهيئة ، وفى كل ما يتصل ببنيانها ونظامها ، ووظائفها واهدافها ، وفى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التى أتى بها الاسلام . وليس لهذه الهيئة « سـيادة » على المجتمع بالمعنى المعروف فى الفقه الغربى ، بـل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود . ولكن الشعب وقد استشير فى تـكوين الهيئـة التى تتولى زمـام « الامـر بالمعروف » و « والنهي عن المنكر » وظل بعـد ذلك هو المرجع فى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التي أتى بها الاسلام ، حتى صار لزاما على كـل فرد ان يغير « المنكر » بيده او يدعو الى تغييره فقد صار لهذه « الشورى » اثرها الالزامى فى كل ما يقام من نظم حكومية ، واصبح للمجتمع بمقتضى هذا التفويض حق النيابة عن صاحب السيادة — الله وحده — واصبح المسلم اذ يذعن للتشريع الذى تصدره الهيئة التي تولتزمامالامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يذعن لأمر المجتمع الـذى هو لبنة من لبناته ، ويذعن بطريق غير مباشر لأمر الله . وفى ذلك ضمان وجدانى يعزز ضمان القوة الحكومية فى نفاذ التشريع الاسلامي فى اقل مشقة وأقل اكراه حكومي .

فالسيادة فى الاسلام لله وحده ، لا للمـلك او لرئيس من البشر ، على عكس ما زعمـه بعض الغربيين من تيوقراطية الدولة الاسلامية . وليس ادل على ذلك من ان النبي نفسه وهو الذى يتلقى الوحى ولا ينطق عن الهوى-أمره الله بالاستشارة فى شئون الدنيا التي يحرص الاسلام كل الحرص على اسعاد البشر فيها ، لأنها مزرعة الآخـرة ، انفاذ الفلسفة الشاملة فى التوفيق بين المـادية والروحية فى الانسان . فقال تعالى « وشاورهم فى الأمر » .

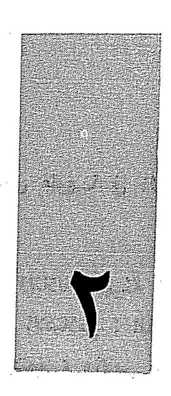
أما كيف يكون تنظيم هذه الهيئة التي تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتولى انفاذ هذا الأمر والنهى ، وهل تنقسم الى شعبة تتولى وضع الأمر والنهى ، وشعبة تضطلع بتنفيذ هذا الأمر والنهى ، وشعبة تتوفر على البت فيما ينشأ عن هذا الأمر والنهى من نزاع وخصومات ، وكيف يكون اختيار ، أو اصطفاء كل شعبة مـن هذه الشعب الثلاثة ، وكيف يكون التنظيم الداخلى لكل شعبة ، فكل هذا قد عهد به الاسـلام الى جهود العقل الانسانى ، يمضى فيها باجتهاده ، ليصطفى اكثر الاوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، علىضوء المبادىء العامة التي يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الـكريـم .

ذلك لأن الاسلام امتاز بعنايته البالغة بتنمية العقل الانساني وتدريبه . حتى العقائد كعقيدة وحدانية الله وعقيدة البعث ويوم الحسـاب —وهيأمور لاتلمسها الحواس ولا تدركها الأبصار — لم يفرضها الاسلام على الانسان فرضا جامدا ، عن طريق المعجزات القاهرة التي ان أقنعت الجيل المعاصر لها لم تلبث أن يتلاشى تأثيرها فى الأجيال التالية ، بل سعى الى التدليل عليها عن طريق مخاطبة العقل الانساني ، ونجح فى اثباتها عـن طريق الاستدلال العقلى ، فحفل القرآن بمئات الآيات التي كفلت للعقل الانساني اثبات هـذه الحقائق غير المنظورة ، ومحت ريبة كل مرتاب .

وفى سبيل تنمية العقل الانساني سلك الاسلام سبيل حث المسلم على طلب العلم ، واعتبـره

البقية على ص : ٢٩

الإسلام



والمجتمع المثالي

لفضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد
عميد كلية الدراسات العربية جامعة الازهر

ونأخذ اليوم بيان الصفات التي أراد الله ورسوله للمؤمن أن يتصف بها فى نفسه ، ونود ــ قبل أن نفيض فى بيانها ــ أن نلفت الذهن الى بعض ما قدمنا الاشارة اليه ، وهو أن المقصد الاسمى من التكاليف الشرعية هو وصل ما بين المؤمن وربه ، وتوثيق هذه الصلة حتى يصير مراقبا له فى كل ما يأتي وما يذر ، وحتى يعلم أنه سبحانه هو وحده النافع الضار ، وأن يثق بأن الناس جميعا لو اتفقوا على أن ينفعوه بشىء لم يرده الله لم يستطيعوا السبيل الى ذلك ، وأن الناس كلهم لو أجمعوا على أن يضروه بشىء لم يرده الله ما استطاعوه ، ولذلك تجد التكاليف الشرعية كلها قد اشترط لصحتها أن تسبق بالنية وأن تتصل هذه النية بها ، ومن أجزاء هذه النية أنه يفعل هذا الفعل خالصا لوجه الله تعالى ، وهو يبدأ صلاته بقوله ((الله أكبر)) ويأخذ فى نية صومه ((ايمانا واحتسابا لوجه الله تعالى)) ويبتدىء أعمال حجه بعد النية بقوله ((لبيك اللهم لبيك)) وهكذا كل عمل من أعمال البر ، فاذا لاحظ العبد ذلك ظل مراقبا لربه عالما أنه مطلع عليه ، فاذا استمر على هذه الحال طهر قلبه فصار نقيا صافيا خالصا من أدران المادية وما يجره التعلق بالمادية من الحقد والحسد والتباغض واضمار الشحناء والكيد والوقيعة، وطهرت نفسه فاصبحت قريبة من الكمالات الانسانية من نحو المودة وحب الخير للناس الى حد الايثار والتضحية فى سبيلهم ، ومالم يؤد فعل التكاليف الشرعية الى ما ذكرنا من طهارة القلب وزكاة النفس فانها تكون قليلة الحظ من القبول فلينظر المؤمن الى نفسه فمالم يجد قلبه مشرقا ، ومالم يحس بأن حظوظ الشيطان قد فارقته ، ومالم يجد نفسه أنه لايضمر غير ما يظهر ، ومالم يجد أنه لايأتى من أعمال البر شيئا الا رغبة فى عمل البر ومرضاة لربه وطلبا لنفع الناس فى غير امتنان على أحد منهم ولاحب فى مثوبتهم ، مالم يجد

ذلك كله من نفسه فليعلم أنه لا يؤدى ما يؤديه من التكاليف على الوجه الذى أراده الله ، وأن أداءه هذه التكاليف قليل الجدوى وقليل القبول ، وهذا سر من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم ((رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش)) أو كما قال .

ثم نقول : فى القرآن الكريم آيات كثيرة تعرضت لصفات المؤمن التى يجب عليه أن يتصف بها نفسه ، ونحن لو تتبعنا هذه الآيات كلها وبينا ما فى كل آية منها طال بنا القول ولا نخشى أن يمله القارىء فلنجتزى من ذلك بموضعين من القرآن الكريم ذكر الله تعالى فيهما جماع ما ينبغي للمؤمن أن يتصف به .

الموضع الاول

الآيات الكريمة التى فى آخر سورة الفرقان ، وذلك قوله تعالى : ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، والذين لايدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لايشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين أماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما)) .

الموضع الثانى

قوله تعالى فى مفتتح سورة المؤمنون : ((قد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)) .

تضمنت هذه الآيات الكريمة ثمانى عشرة خصلة من خصال المؤمنين ، من ذلك فى آيات سورة الفرقان اثنتا عشرة خصلة ، وست الخصال الباقية فى آيات سورة ((المؤمنون)) ، ولكن مجموع المذكور فيهما من الخصال عند التحقيق خمس عشرة خصلة ، وذلك لان خصلتين منها قد تكررتا فى الموضعين وخصلة أخرى ذكرت فى آيات سورة ((المؤمنون)) مرتين ذكرت فى كل مرة منهما بناحية من نواحيها والموضوع العام فى الموضعين واحد .

ومما يحسن التنبيه له أن فى القرآن الكريم مواضع كثيرة نص فى بعضها على خلال من هذه الخلال ، ونص فى بعضها على خلال أخرى غير هذه الخلال ، ولكنا نعتبر هذه الخلال الخمس عشرة نموذجا عاليا لما يجمل بالمؤمن أن يتخلق به ولما لو تخلق به انسان لجره الى جميع خلال البر والتقوى ، والخير يدفع الى الخير ، فاذا ـ نحن اكتفينا ببيان هذه الخصال وبيان ما تجلبه لمن يتصف بها من كمال نفسى واشراق روحي يستتبعان الاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها كنا كمن أخذ من الامر بلبابه وكمن وضع يده على مفاتيح الخيرات كلها فهو يطرقها من أى الابواب أراد .

الصفة الاولى

التواضع ، وقد كنى الله تعالى عن هذه الصفة بقوله سبحانه في آيات سورة الفرقان (الذين يمشون على الارض هونا) ، كما كنى عن ضدها — وهو التعالى على الناس والاستكبار والجبرية — بقوله جلت كلمته في سورة لقمان (ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور) ، وكنى عن ذلك مرة أخرى فى سورة الاسراء بقوله (ولا تمش فى الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ، ولن تبلغ الجبال طولا) .

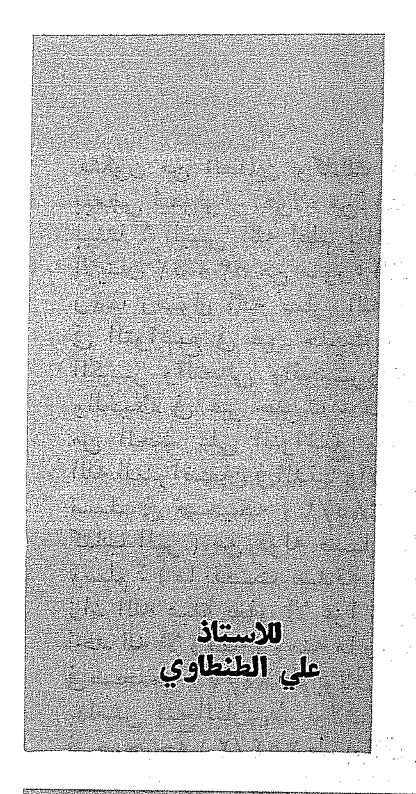
والتواضع أسمى معايير الكمال النفسى ، وهو من صفات الانبياء والمرسلين ، وهى صفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بما عنده من علم لانه يعلم أن كل ما أوتيه من علم فهو قليل بالنظر الى مالا يزال مطويا عنه ، وعسى أن يكون عند غيره ممن هو أقل منه مالا علم له به ، فاذا تيقن ذلك كله اندفع يطلب علم مالم يعلم ، ولم ير غيره ممن لم يذع له صيت فى العلم أقل من أن يأخذ عنه .

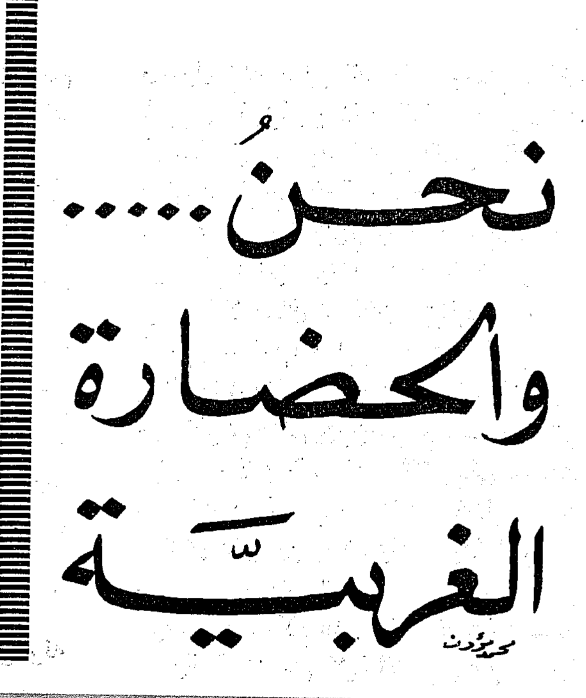
وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك فى قصة موسى والعبد الصالح حيث دفعه الى أن يقول للعبد الصالح « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا » واحتمل فى سبيل هذا — وهو نبى يكلمه الله — أن يقول له العبد الصالح (انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) ، كما أن هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الايعتد بما عنده من مال وفير وجاه خطير ، لانه يعلم أن الله لو شاء لجعل ما فى يده فى يد غيره ممن هم فى حاجة اليه وجعله هو صاحب الحاجة الى هؤلاء ، كما أنه يعلم أن المال غاد ورائح ، ورب حادثة لايلقى لها بالا اجتاحت هذا المال كله فى طرفة عين ، فاذا علم — مع ذلك — أن الذكر بالخير باق على الدنيا ما بقى فيها ناس ، وأن ثواب الانفاق فى الخير أعظم ربحا وأكثر فائدة من اكتناز الاموال ، واستيقنت نفسه ذلك اندفع ينفق فى سبيل الله تعالى فنال خير المثوبة ، وقد ضرب الله لنا مثل من اغتر بماله وزعم أن حذقه وخبرته بضروب تثمير المال سبب ما عنده فلم يرع فيه حق الضعفاء والمعوزين ، ثم كانت عاقبته ما ختم الله به قصته فى سورة القصص ، وذلك قوله سبحانه (فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين) وبالجملة فان هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الا يعتد بشىء عنده مما يتميز به بعض الناس من جاه او مال او رفعة نسب او صحة أو قوة جسم او بسطة علم او نحو ذلك ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى في هذه الصفة ، فقد كان يكون فى مهنة أهله ، وقد كان يحمل حاجته بنفسه ويقول : صاحب الحاجة أحق بحملها ، وقد كان يأكل على الارض ، وقد كان يقول : انما أنا عبد آكل كما يأكل البعيد ، ويقول : ابن امرأة كانت تأكل القديد ، كل ذلك وهو رسول الله وصفوته من خلقه أجمعين وهو من اشرف العرب نسبا وأرفعهم بيتا ، وقد كان يجالس المستضعفين والموالى ، حتى ان صناديد قريش رغبوا له ان ينحى عن مجلسه هؤلاء الموالى ووعدوه ان نحاهم ان يدخلوا فى دينه — وكان ذلك أحب شيء اليه — فكان أن أنزل الله تعالى عليه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الآية ٢٨ من سورة الكهف ، ونظير هذه الاية قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم

فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله أعلم بالشاكرين) — الايتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الانعام . وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع فى غير حديث ، وحذر من الكبر والتعالى والجبروت والزهو والخيلاء فى غير حديث ، فمما ورد عنه من الحث على التواضع وبيان ما أعد الله للمتواضعين فى الدنيا والاخرة ما رواه مسلم فى صحيحه (٢/٢٨٥ ط بولاق ، كتاب البر) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه) ومنه ما رواه البخارى فى صحيحه (٧/٨٤ ط بولاق — ١٠/٤٠٨ بهامش فتح البارى ط بولاق) ورواه مسلم فى صحيحه (٢/٣٥٤ ط بولاق) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ .. كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، الا أخبركم بأهل النار ؟ .. كل عتل جواظ مستكبر) ، العتل بضم العين والتاء وتشديد اللام — الاكول المنوع . والجواظ — بفتح الجيم وتشديد الواو — فسروه بالجموع المنوع، وفسروه بالقصير البطين ، وفسروه بالكثير اللحم المختال فى مشيته ، وفسروه بالغليظ الفظ ، والمستكبر — ومثله المتكبر — الذى يتشبع بما ليس عنده او الذى يستعلى على الناس يرى ان ما عنده خير مما عندهم وهو الذى يقول الله تعالى فى شأنه (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) من الاية ٣٥ من سورة غافر ، ومنه ما رواه مسلم فى صحيحه (٢/٣٥٣ ط بولاق — كتاب الجنة) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون ، والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء المسلمين ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : انك الجنة رحمتى ارحم بك من أشاء ، وانك النار عذابى اعذب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فان الجبار ما يزال يعنف بالناس ، ويشتط فى معاملتهم ، ويأخذهم بالقسر والاعنات حتى يسلبهم حقوقهم ، ويدفعهم عنها ، وقد يسلبهم اموالهم وارواحهم بغير حق فيتفاقم الشر ، وتغدو الحياة الى جواره جحيما لا يطاق ، فكان جزاؤه ان جعله الله فى العذاب الأليم ، وان المتكبر ما يزال يتيه بنفسه ، ويزهى على الناس ، ويحتقرهم حتى يهون امرهم عليه ، وحتى يرى انه لا يدانيه احد فلا يبالى — بعد ان تتأصل فى طباعه هذه الخلال — ان يعتدى على من يعاشرونه ، وما ابدع ما وصف الله به المتكبرين فى الاية التى تلوناها او الكلام على هذه الصفة من سورة لقمان وفى الاية الاخرى من سورة الاسراء ، ثم ما اروع هذه السخرية بالمتكبر التى ختمت بها اية سورة الاسراء (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) .**

نعم انه — مهما يشمخ بأنفه ، ومهما يتعال برأسه ، ومهما يتطاول ببدنه لن يبلغ الجبال طولا ، وانه مهما يدب بقدميه ، ومهما يثقل ببدنه لن يخرق الارض ، فليكفكف من غلوائه ، وليترك تيهه وتعاليه ، وليكن مع الناس يفيدهم ويفيدونه ، ويتعاون معهم ويتعاونون معه ، فالانسان قليل بنفسه مهما يعظم قدره كثير باخوانه ، وقد تقتل الفيل نملة ، وقد تموت الافاعى من سموم العقارب .

نسأل الله تعالى ان يبصرنا بقدر انفسنا ، وان يباعد بيننا وبين البأو والصلف والكبرياء انه اكبر مسؤول ، والى عدد مقبل نأخذ فيه فى بعض ما بدأناه ، ان شاء الله .





نحنُ.... والحضارة الغربيَّة

للاستاذ
علي الطنطاوي

زرت (الرياض) من سنتين ، بعد غيبة عنها امتدت ثلاثين سنة ، فتفضل جماعة من طلبة العلم فاستقبلوني في المطار ، وصحبوني الى البلد ، وسلكت بنا السيارة شارع الوزارات ، نمر بتلك المغاني (الفيلات) الجميلات ، وتلك الأبنية الكبيرات المشرفات ، وأنا انظر اليها نظر المندهش الذى يفاجأ بما لم يكن يتوقع فقد كان عهدى بتلك البقاع أنها صحراء جرداء ما فيها نبت ولا ماء ، وليس فيها من بناء ، واراها الان شارعا ضخما فى وسطه حديقة ممتدة ، فيها الورد والزهر ، وفيها انواع الشجر ، والماء يجرى فيها متدفقا من الانابيب ، والعمارات على جانبيها والسيارات تجرى على طرقها ...

... وكان أصحابى كلما رأونى أزداد دهشة ازدادوا اندفاعا في الوصف ومبالغة في البيان .

ثم قال لى واحد منهم وقد اخذته نشوة كل دليل يطلع الغريب على جمال بلده :

ـ أهذه أول مرة ترى فيها الرياض ؟

ـ قلت : انى أعرفها من قبل أن تولد ، ولكن ليست هذه هى (الرياض) التى أعرفها ، وكانت السيارة قد بلغت بنا (الديرة) وصرنا فى جوار المسجد الكبير ، فتهلل وجهى وأحسست مثل ما يحسه الغريب الضال ، اذا أبصر فى زحمة الناس وجه حبيب يعرفه ويألفه ، وصحت :

ـ هذه هى (الرياض) التى أعرفها ، هذه الأسواق الضيقة وهذه المنازل المبنية من اللبن والطين ، ان لى هنا ذكريات، والذكريات هى الحياة ، أما تلك الشوارع التى مررنا بها بعد المطار، فليس لى فيها ذكرى ، فهى على جمالها غريبة

عنى ، وهذه على ... على ما هى عليه أحسن كأنى منها أو كأنها منى .

وأعجب هذا الكلام أحد الجماعة وأثار كمائن نفسه فقال :

ــ اى والله ، هذه هى بلدنا وهذه حياتنا ، فيا ليت هذه المدنية الغربية لم تصل الينا ولم نرها ، ان هذه البيوت المبنية من الطين التى لا تنيرها الكهرباء ، ولا تصل اليها السيارات ، وليس فيها البرادات ولا الغسالات ، خير من تلك العمارات وما فيها ، لقد افسدت هذه المدنية اخلاقنا ، واضاعت علينا ديننا وما جاءنا منها الا الشر ، وانبرى له آخر ، فقال له :

ــ أتريد منا أن نعود الى عهد البداوة ، فى عصر الذرة والصاروخ ، وأن ندع ثمرات الحضارة ، ونعيش محرومين منها ، على حين يستمتع الناس من حولنا بها ؟

انها مدنية العصر ، ليست لأمة دون أمة ، ولا لبلد دون بلد .

وكثر المتكلمون وتداخلت الاصوات ، ولكن الاقوال كلها كانت تتردد بين رأيين :

هل علينا أن نأخذ بهذه المدنية بكل ما فيها ، ونقبلها بخيرها وشرها ، لأنه لا بد منها ، ولا انفكاك عنها ، أم أن علينا أن نتركها ونبتعد عنها ، لانها لا توافق أحكام ديننا ، ولا تمشى مع خلائقنا ، ولان الاسلام ينكر الاقبال عليها والأخذ بها .

وانا رجل من المخضرمين ، عرفت هذه البلاد قبل ان تتصل بها الحضارة الغربية ، وعرفتها بعدها .

لقد زرت (جدة) أيام كانت جدة محاطة بسور له أبواب تغلق كل عشية ، وتفتح فى النهار ، ولا يدخل اليها ولا يخرج منها الا من هذه الابواب ، وعرفتها وقد أوشكت ان تصير مثل الاسكندرية أو بيروت .

وعرفت دمشق وما فيها سيارة واحدة وما فيها الا عشرون دارا فيها الكهرباء وليس فيها الا شارع واحد شقه جمال باشا سنة ١٩١٦ ، اما الراءه (الراديو) والرائى (التلفزيون) وأمثالهما ، فلم يكن قد اخترع من ذلك شىء .

وعرفت الرياض سنة ١٩٣٥ ، والرياض التى ترونها الآن .. وانى لافكر وأوازن بين الحالين واسأل نفسى : هل ربحنا أم خسرنا ؟ .

أى الفريقين أهدى وأصوب رأيا : من يريد منا ان نأخذ بهذه الحضارة أخذا كاملا ، أمن يريد أن نتركها وننصرف عنها ؟

الحق . الحق بين الفريقين فلا هؤلاء على حق ولا هؤلاء ، لقد ربحنا باقتباسنا من هذه الحضارة وخسرنا ، وكل شىء فى الدنيا فيه ربح وفيه خسارة .

ان هذه الحضارة ليست شرا محضا ، وليست كذلك خيرا محضا ، فالقول بأن نتركها كلها مردود ، والقول بأن نأخذها كلها مردود .

وهل نستطيع أن نتركها بعد ما انغمسنا فيها ، وصارت هى عماد حياتنا ؟

ان من يطلب ذلك يطلب مالا يكون ، ولو نحن استطعنا تركها فهل من المصلحة أن نتركها ؟

أيريد هؤلاء أن نغلق المستشفيات ، ونطرد الاطباء وأن نلغى شركة الخطوط الجوية ونبيع طياراتها ، وان نذهب الى الحج من الرياض الى مكة على الابل فنمضى على الطريق عشرين يوما بدلا من أن نذهب فى ساعة وبعض الساعة فى طيارة البوينج وأن نحل شركة الكهرباء ونرفع أسلاكها من الشوارع ، ونرجع الى الشمع وسرج الزيت ، وان نحارب اليهود بالسيف والرمح بدلا من المدفع والصاروخ ؟!

ولماذا نفعل ذلك ؟

اما الاسلام فلا يوجب علينا أن نترك هذه الحضارة بكل ما فيها فلا تحتجوا بالاسلام .

الاسلام قد حرم محرمات وفرض

فرائـض ، وترك أمورا عـلى الاباحـة الأصلية ، فما حرمه الاسلام نتركه ، ولو أجمع اهل الارض على قبوله والعمل به ، وما أوجبـه نأتيه ، ولو اتفق سـكان المعمورة على استنكاره والاعراض عنه ، وما كان من المباحات ممالم يدع الاسلام الى الاخذ به ولا الى تركه ، ننظر فان كان فيه نفع لنا اخذناه لأن الحكمة ضالة المؤمن ، ولان المصلحة العامة هنا مقصد من مقاصد الشارع وفى مثل هذا لا فيما ورد فيـه النص (١) يقول ابن القـيم (٢) : ان الحكم الشرعى يدور مـع المصلحة فحيثما تحققت فثم شرع الله ، ولان علينا ان نعمل لدنيانا كمـا نعمل لآخرتنا (ولا تنس نصيبك من الدنيا) (قل من حـرم زينة الله التى اخـرج لعباده والطيبات من الرزق) .

ثم اننا لسنا غرباء عن هذه الحضارة ، ولا واغلين عليها بل نحن شركاء فيها نحن من أصحابها .

ان الحضارات نوعان كمـا قسمهـا (شبنكلر) فى كتابه المشهور : حضارات محلية كحضارات الهند والصين وحضارة عالمية ، والحضارة العالمية بناء من ثلاثة ادوار اشترك فيه ثلاثة بانين .

أما الدور الاول فقد بنـاه المصريون والفينقيون واليونان ، ومن شاركهم فيه وأعانهم عليـه .

والثانى بناه المسلمون

والثالث بناه الغربيون

وكل دور منها يقوم على ما تحتـه فلولاه ما قام .... فنحن شركاء فى هذه العمارة لنا فيها (دور) من ثلاثة ولسنا مستأجرين ولا مستجدين ولا معتدين ، نحن من أصحاب الدار .

ولكن ليس معنى هذا أن نقبلها بكل ما فيها .. ان فيها شرورا كثيرة ومفاسد مردها جميعا الى أصلين :

أحدهما ما تحمله من افكار ومبادىء فيها ما يزيغ المؤمن عن شرعة الحق وما يضله عن سبيل الهدى .

والثانى وهو أشد وأنكى ما يغلب على هذه الحضارة من تهاون بمسائل الجنس واطلاق للشهوات ... وهو أشد ، لان الاول وان كان فيه الكفر أحيانا ، لا يجد عند كل شاب استعدادا لقبوله ، أمـا الثانى فانه يجد القبول فى كل نفس لان الله ركب فى نفس كل شاب الميل الى المرأة ، فمن عمد الى اثـارة الشهوات وأيقظ الغريزة ، استهوى بذلك الشباب جميعـا ، الا من عصم اللـه بعصمته ، وقليل ما هم بل اقل من القليل .

فاذا اردنا أن نصحح موقفنا من هذه الحضارة ، فلنصنع مثل الذى صـنع أجدادنا لما اتصلوا بالفرس وغيرهم من الشعوب ذوات الحضارات الاولى .

انهم أخذوا من حضاراتهم وعيونهم مفتحـة ، وعقولهم حاضرة ، وميـزان الشرع فى ايديهم ، لم يأخذوها عمى ولا تقليدا ، ولم يقلدوا أهلها تقليد القردة بلا نظر ولا علم .

هذا هو الحق وهذا هو طريق الاعتدال لا أفراط ولا تفريط ، فما كان فيها من مخترعات نافعة وما كان من تقدم علمى ، وما كان من رفاهية وراحة ليس فيهـا محرم نأخذه كله .

وما كان فيها من تهاون بالفضـائل والعفاف ، واطلاق للغرائز والشهوات ، وتسهيل للزنا ، وتصعيب للزواج وهذه القصص التى فيهـا الادب المكشوف ، والافلام التى تعلم الناشئة فنون الغرام ، وطرق الاجرام نتركه كله ، كمـا نترك كل فلسفة وكل علم وكل مذهب اجتماعى ينافى أحكام ديننا .

ولا بد من تفصيل لهذا الاجمال يأتى ان شاء الله فيما سيجىء من المقال .

---

١ ـ كما ظن خطأ الاستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف فى كتابه « السياسة الشرعية »

٢ ـ هو ابن قيم الجوزيـة وكثير من الناس يخلطون بينه وبين ابن الجوزى مع ان ابن الجوزى بغدادى وهذا شـامى ، والجوزية مدرسـة بناهـا ابن الجوزى ...

فريضة من أجل الفرائض التي يتقرب بها المسلم الى ربه ، ومد آفاق العلم الى كل شيء فى الوجود.

فتح الاسلام للانسان مغاليق الكون لينفذ اليها ، ويطلع على قدرة الخالق الذى سخّر له كل ما فى السموات والأرض ، فيزداد ايمانا بالله وقربا من الله . وذمّ المسلم الذى لا يعلم ، ومدح المسلم الذى يعلم ، وميّز آدم على الملائكة بأنه يعلم ما لا نعلم .

معايير الفقه الاسلامي فى مواجهة التطور :

وكان من هذا التوجيه الاسلامي فى استخدام العقل ان استخلص فقهاء الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله الكريم معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية من خلقية واقتصادية وحكومية ، أى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامي فيما عدا الشئون التعبدية . هذه المعايير العامة تكفل اكبر قسط من المرونة فى التشريع ، وأوسع قدرة على مواجهة كل جديد فى احداث الحياة غير المحدودة وتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائما فى نطاق هذه التعاليم الكلية . من هذه المعايير العامة « القياس » وما يتفرع عنه ويقترن به من « استحسان » و « استصلاح » و « استصحاب » مما لا يتسع المقام للتفصيل فيه . وكلها تقوم على تحقيق مصلحة المجتمع ودفع المفاسد عنه ، وتكفل له كل الخير .

غير أن هذه المعايير العامة التي كان يجب الاهتداء بها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا ، لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ كان نصيبها من المسلمين الاغفال فى الغالب ، فحلّ الجمود محل التقدم المنشود ، واتجه اللوم الى الاسلام لا الى المسلمين .

التطبيق الأول للتعاليم الحكومية فى صبغتها الكلية :

على أن عصر الخلفاء الراشدين قد سجل التطبيق الأول لهذه التعاليم الكلية فى بناء الدولة الاسلامية . فقد تمسكوا تمسكا متينا بتعاليم الاسلام الكلية فى فصائلها الثلاثة . الخلقية والاقتصادية والحكومية . فلم يعزلوا احداها عن الأخرى ، ولم يترددوا فى أن يفرعوا من التعاليم الحكومية ما يلائم احتياجات عصرهم ومستوى البيئة البدائية التى كان يعيش فيها المجتمع الاسلامي يومئذ .. جعلوا اختيار رئيس الدولة او الخليفة بالمبايعة ، وهي ما يقابل الانتخاب العام فى العصر الحديث ، ولكن لم يفصّلوا اساليب الانتخاب لأن الحاجة لم تكن تدعو بعد الى هذا التفصيل فى مجتمعهم المحدود .

ثم قيدوا هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى وهي ما يقابل النظام البرلماني الحديث . ولكن لم يذهبوا وراء ذلك فى تفصيل لأوضاع الشورى واجراءاتها . ذلك لأن التعاليم الكلية فى فصائلها الثلاثة السالفة الذكر كانت تغنيهم عن هذا التفصيل ، اذ كانت تفى كل الوفاء بحاجات زمانهم ، فى ظل ما ساد مجتمعهم من صدق العبودية لله وحده ، ومن التزام المساواة بين افراد مجتمعهم مهما اختلفت الوانهم وأجناسهم، وتباينت دياناتهم وأقدارهم ، ومن تعاون وتكافل بين الطبقات جعلها بمثابة طبقة واحدة ، ومن عدل مطلق لا قيد عليه ، ومن حرية فى القول والرأى والنقد ، نقد الحكام فى سبيل المصلحة العامة الى حد تبرير المقاومة الثائرة . هذا الى ما استقر فى نفوسهم ، وغرسته العبادات الاسلامية فى وجدانهم ودربتهم عليه تدريبا قويا ، من التمسك بتعاليم الاسلام الخلقية ورفعها فوق كل زخارف الحياة ومناعمها ، فكانت خير وقاية لبنيانهم الاجتماعي والحكومي مما انحدرت اليه المدنية الغربية المادية من انحلال خلقى أفسد انظمتها الاجتماعية والاقتصادية والحكومية .

البقية فى العدد القادم



لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
مراقب عام الدعوة بوزارة الأوقاف

ميلاد جديد لحياة الانسان

الايمان شيء فوق ما يتصور كثير من الناس .

انه ليس رأيا فى شخص من الاشخاص ، أو حكما فى قضية من القضايا ، أو اعتناقا نظريا لفلسفة من الفلسفات ، أو اصطباغا نفسيا بلون من ألوان الفن ...

انه تعامل جاد خطير بين طرفين احدهما الحي القيوم ، وعلاقة تشد المرء من أخفى أغواره وأبرز أحواله الى من نشأه من عدم ، ورباه من ضياع ..

وكما يلتحق العاطل بوظيفة جديدة تستغرق أوقاته ، وتصون حاضره ومستقبله يلتحق الانسان بركب الايمان فيصبح ويمسي وهو مشغول بواجبات وضعه الجديد ، ووسائل قيامه به ونجاحه فيه .

الرسالات فجر الانسانية

وقد بين الكتاب العزيز أن الناس قبل دعوة الله أشباه موتى ، وأن انقيادهم للمرسلين مشرق فجر جديد فى أنفسهم وأفكارهم وأخلاقهم ومسالكهم ...

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ... » .

ان الحياة الحقيقية ليست صورة اللحم والدم ، ولا اكتناز العضلات وقوة الحركات ...

كلا فتلك حياة يشترك فيها البشر والسباع والدواب والزواحف ، بل لعل حظوظ الأنعام منها أوفر ..

الحياة الحقيقية هي هذه الصلة التي تنشأ مع الله بعد معرفته ...

هي هذا الانتظام الجديد مع أوامر الله ونواهيه بعد أن أعلن اللسان هذه البداية بقوله « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا .. » .

أجل مع هذا الاقرار السمح ، لا يبطىء المؤمن فى الانتقال الى عالمه الجديد ،

حيث يسلم وجهه لله وحده ، ويتحرك فوق ظهر هذه الأرض وفق ما يطلب منه مولاه .

فهو محكوم في امتداده وانكماشه وحبه وبغضه وسلمه وحربه بحدود الحلال والحرام والثواب والعقاب وطلب الزلفى من ربه ، والوجل من طرده ...

هذا الايمان ينشىء حياة جديدة كل الجدة ...

اننا نعد الزنجي التائه في مجاهل افريقية انسانا متأخرا جدا بالنسبة الى زميله عالم الذرة في أرقى البيئات .

ففكرة أحدهما عن الكون والحياة تغاير كل المغايرة فكرة الآخر ، ولا شك أن مسافة التخلف بين هذا وذاك بعيدة . ان هذا البعد يساوى كذلك مسافة التخلف بين امرىء يعرف الله وآخر يجهله ..

الغافل حيوان ضائع

ان ذلك المرء الغافل عن ربه ــ مهما ارتقى وضعه المادى ــ حيوان ضائع ...

ربما كان حيوانا ذكيا في بعض الأمور ، بيد أن جهله بالله هوى به الى أسفل سافلين ، فهو ليس متأخرا فقط ، انه ميت ولو حلق في أجواز الفضاء .

ان الجهل بالله ظلمة كالحة السواد شديدة الوحشة ، ولذلك يقول الله « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يفعلون » .

والفارق بين المؤمن والكافر يتضح من هذا الوصف الذى قررته الآية .

فللمؤمن نوره الذى يمشي به بين الناس ...

ترى ما هذا النور النابع من حياة الايمان ؟

انه نور الضمير المشع في حناياه يعرف به الخير من الشر ، ويميز المعروف من المنكر ...

وهل يرجح الايمان ويستحق التكريم الا بهذه الميزة ؟

المقطوعون عن الله لا تلفتهم الا الحياة الدنيا ومآربهم منها ، وما يتورعون عن قتل ولا ختل ، ولا افك ولا غش .

أما الموصولون بالله فهم طلاب كمال وعدل ، وعفاف وتقوى .

وما تنتشر البركة في الأرض والطمأنينة في المجتمع الا في ظلال هذا الايمان ، الذى يشق طريقه في ضمان السماء .

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

الايمان بالله حياة

أجل ان الايمان حياة ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم عمل الايمان في الأنفس بعمل المطر في الأرض « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير .. الخ » .

وهل سمي الوحي روحا الا لأنه يحيي القلوب الميتة ، ويبصّر الضمائر الضريرة ؟

ان فيصل التفرقة بين الايمان الصحيح والايمان المزيف . أن الأول يولد به المرء ولادة جديدة ويحيا به حياة رشيدة ، أما الآخر فلا يصنع شيئا .

الاول يتحول قوة دافعة الى فعل الخير ونصرة الحق كما يتحول الوقود في الآلة الى حركة دوارة ، أما الآخر فصفر .

الأول يعيد تشكيل الكيان الانساني على نحو يجعل المرء تابعا لله في هذه الدنيا ، فهو باسمه يصول وباسمه ينطلق . أما الآخر ، فالانسان تابع هواه فحسب ..

مطاردة الايمان المزيف

واذا كانت الدول تكافح تزييف النقد

المتداول بين الناس ضبطا لقيم الأشياء ، وحربا على البطالين والسراق ، فما أحرانا بمطاردة الايمان المزيف حتى تبقى لليقين الصحيح قيمته وآثاره ومنافعه المادية والأدبية ...

ولو عقلنا لعرفنا أن الحفاظ على صحة الايمان أهم من الحفاظ على سلامة الذهب والفضة وما يمثلهما من أوراق .. ولنسرد من كتاب الله الكريم بعض الدلائل التي تشرح ما نقول .

فى الحياة التي ينشئها الايمان لامكان للشك وللريبة مهما أظلم الجو واربد الأفق ..

بل يجب على أهل الايمان أن يتماسكوا ويصبروا « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » .

ومواقف الايمان ليست محصورة ولا محددة فى مسلك واحد ، فما تملى به أعباء الحق يجب الانقياد اليه مهما تغايرت الظروف .

فبعض الناس قد يكلف بالانتقال هنا أو هناك والبعض الآخر قد يكلف بالثبات فى مكانه والبذل من ماله «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ويستحيل فى ظل حياة يقيمها الايمان أن يسير الخطأ دون نكير يلاحقه أو يبقى العوج دون نصيح يطارده وان طال المدى وفدحت التكاليف .

فشيمة المؤمنين — كي يتجنبوا الخسار — التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وقد يفزع بعض الناس من بطش الجبابرة فيستكينون ، أو تغريهم طراوة العيش فيستلينون ، بيد أن الايمان الصحيح ينشد رضا واحدا ويقلق من غضب واحد .

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ... » .

وهناك من يشغله توطيد مكانته الخاصة عن أى أمر آخر ، فهو يريد أن يستبي القلوب بكل ما أوتي من مواهب .

الرياء مهلكة الايمان

وفى عصرنا هذا شاعت عبادة الفرد للجماهير وعبادة الجماهير للفرد .

أما أن يبصر الانسان وجه الله فيما يعمل ويترك ، ويتحرى ذاته فيما ينفق ويمسك فلا مكان لذلك فى نفسه .

وهذا هو الرياء الذى يحيط الأعمال . ويكشف عن خراب القلوب من معنى الخير .

قال الجنيد : لو أن عبدا اتى بافتقار آدم ، وزهد عيسى ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيى ، واستقامة ادريس ، وود الخليل، وخلق الحبيب ، وكان فى قلبه ذرة لغير الله ، فليس لله فيه حاجة ...

والحق أن لصوق الرياء بقلب واستبداده به مهلكة للايمان وممحقة للمثوبة ..

ان الغيث ينزل بالأرض الخصبة ، فيكشف عن صلاحيتها للنماء والخير ، وينزل بالصخر فيكشف عن جفاف طبيعته وقسوتها واقفارها ..

وكذلك ضرب الله المثل للمرائي « فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ان الحياة التي ينشئها الايمان تتسم بالاخلاص العميق والتجرد التام لله رب العالمين ..

ولنتجاوز هذه النماذج المتناثرة فى وصف الحياة التي ينشئها الايمان لنقول ان الايمان عمل حاكم فى تحويل الغرائز والعواطف الانسانية من وجهة الى وجهة ..

الانسان العارى من أى صبغة دينية أو مذهبية يجوع ويشبع ، ويفرح ويحزن ، ويغضب ويحلم ويتكبر ويتواضع ، ويحنو ويقسو ، وييأس

ويرجو .. الى آخر ما يعترى الطبيعة البشرية البحتة من عوارض لا تخلو عنها أبـدا .

والايمان المعزول عن هذه العوارض لا يثيرها ، ولا يسكنها ايمان مغشوش ..

وقد تحدث علماء التربية قديما عن ضرورة خوف الانسان من الله ورجائه فيه وانابته اليه واعتماده عليه الى غير ذلك من أحوال نفسية فاضلة .

وهـذا حسن ، لكنه تصـوير جزئي للحقيقة المنشودة ، أو تصـوير جانبي للحيـاة التي ينصـب الايمان سرادقها الرحب .

والتصور فى ذلك جاء نتيجة أفهـام الناس ، وما أحسبه مرادا لهؤلاء العلماء الكبار .

اننا جميعا متفقون على أن الايمـان صبر وشكر ، وخوف ورجاء .

تمـام الايمـان

بيد أن البعض فهم أن هذه المشاعر يدخل بها الايمان على النفس مع بقاء هذه النفس على طبيعتها العامة تخاف الله حينا وتخاف غيره حينا ، وترجـو الله حينا وترجو غيره حينا وهكذا .

وليس ذلك هو المراد ولا هما تمام الايمان وخلوصه من الشوائب .

فالمؤمن فى تعامله مع الله وتوحيده له وادراكه لأسمائه الحسني وصـفاته المحيطة يبني سـلوكه فى الحيـاة على التفرغ الكامل لمولاه والارتباط المطلق به وحده والتجاهل لما عداه .

وليس التـوحيد أن تكفر بأصـنام الحجارة ، ثم نجعل من المال صنما أو الجاه صنما أو المرأة صنما أو الحاكم صنما ، ثم نتوجه ببعض مشـاعرنا أو كلها الى هذه الأصنام الجديدة .

فاذا أغلب النشاط الظاهر والباطن لها واذا أقله لله الصمد ! !

اننا بالملاحظة العابرة نحس أن كثيرا من الناس يبخسون الخـالق من أحر عواطفهم ، على حين يتجهـون بهـذه العواطف المشبوبة الى غيره ، فأى ايمان هذا ؟ ؟

وهذا هو السر فى أن البعض يزعـم أنـه يرجـو الله مثلا ، فاذا فتشت فى سلوكه لم تجد لذلك الرجاء أثرا .

ما بال دينك ترضى أن تدنسـه
وان ثوبك مغسول مـن الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لاتجرى على اليبس

لقد انهارت حضـارات دينية كثيرة لان العنوان الذى عرفت به يغاير الحقيقة التي تحيا بها .

ويوم يفلت زمام النفس الانسـانية من قيادة الايمان الصاحي ، ويقع فى يد الهوى الطائش فهيهات أن يغني عنوان أو تجوز خدعة ..

ان المعصـية تـولد قوية غالبا لأن وراءها انفعالات عنيفة فهل يراد أن يولد الايمـان ضـعيفا لأنـه واهي الصـلة بالمشاعر الجياشة فى النفس الانسانية ؟

اذا لم يكـن الايمـان حيـاة عميقة الجذور فى أغوار الانسان فهـو ايمـان معلول يحتاج الـى الطبيب كي يصـح ويستقيم .

فالتوكل على الله مثلا يجب أن يكون فى نفس المؤمن ارسخ من الاعتماد على السلطة فى نفس الجائر المستعلي .

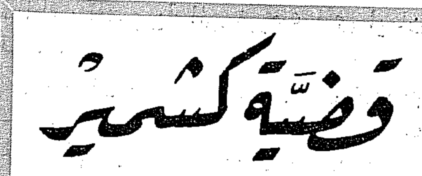
وايثار الآخرة يجب أن يكون أقوى فى نفس المؤمن مـن اشتهاء العجلـين للدنيا .

وعلى ضـوء هذا تفهم قوله تعالـى « ومن الناس من يتخذ مـن دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » .

أمـا أن ترى الملحد أيقظ عقلا مـن المؤمن ، وأرهف حسـا ، وأعلى همة فهذا هو الايمان الكذوب .

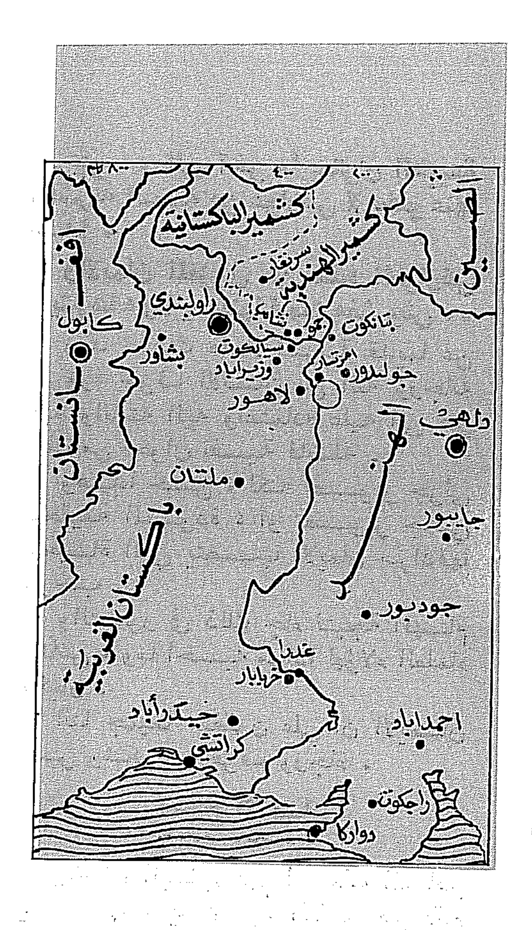
ان المواهب الأدبية تفتق بالايمان كما تفتق الأكمام عن أزهارها .

وان الايمان ليخلق مـن الموت حياة حافلة بالقـوة والنماء جديـرة بالبقاء والاحترام .



اللغم الذي تركه الاستعمار وراءه

للاستاذ . ع . ن



لعل أهم ما يشغلنا من الأحداث العالمية الآن هي الحرب الدائرة بين الهند وباكستان . ولعلها كذلك تمثل جرحا غائرا في النفوس يحتاج الى علاج سريع ، فقد كانت الدولتان الى عهد قريب دولة واحدة عاشت على مر الآلاف من السنين شعبا واحدا في آماله وآلامه وجابهت الاستعمار الانجليزي أخيرا صفا واحدا وروحا واحدة ، حتى ظفرت بالاستقلال في اغسطس ١٩٤٧ وفي الوقت نفسه انقسمت الى دولتين على أساس ديني : دولة أغلبيتها الكبرى من الهندوس ، ودولة أغلبيتها الكبرى كذلك من المسلمين ..

وبالرغم من أن الحكم الاسلامي سيطر على الهند الدولة الواحدة قرابة ثمانية قرون ونصف حتى انتهى على يد الانجليز سنة ١٨٥٧ م حين قبضوا على آخر امبراطور مسلم ونفوه الى « رانجون » وظل في منفاه حتى مات . اقول بالرغم من استمرار الحكم الاسلامي للهند هذه المدة الطويلة،فان أغلبية الشعب ظلت تدين بالهندوسية لأن الولاة المسلمين لم يجبروا أحدا على اعتناق الاسلام ، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك . بل ربما كانوا من المعوقين في انتشار الاسلام ، بينما كان لرجال الصوفية والدعوة الاسلامية الأثر الأكبر في جذب هذا العدد للاسلام ..

وحين حدث التقسيم على أساس أن الولايات التي تسكنها أغلبية هندوسية تصبح من الهند ، والولايات التي تسكنها أغلبية مسلمة تصبح من الدولة الجديدة « باكستان » أو الأرض الطاهرة .. كان شرق الهند ـ أو البنغال ـ وغربها من نصيب الدولة الجديدة،وباقي رقعة الهند الكبرى من نصيب الهند الحديثة أو « بهارت » كما يحب أن يسميها الهندوس الذين يتمسكون بالعودة الى الطابع الهندوسي القديم ..

وكان سكان باكستان حين التقسيم نحوا من ٧٥ مليونا ، نسبة الأقليات الغير مسلمة فيهم

١٤٪ ثم كان آخر احصاء لها أن بلغت نحو ٩٣ مليونـا .

أما الهند فكان عدد سكانها حين التقسيم ٣٦٠ مليونا منهم نحو ٤٠ مليونا من المسلمين . ووصل آخر احصاء لها الى ما فوق الاربعمائـة مليون نسـمة .

وكان من سوء حظ باكستان على صغر حجمها وقلة عدد سكانها أنها تكونت من رقعتين منفصلتين تبعد الواحدة منهما عن الأخرى نحو ألف ومائتي ميل ..

واذا لاحظنا مع ذلك أن الهند الجديدة قامت على الاساس الذى كانت تقوم عليه الدولة القديمة الكبرى .

وأنها كانت وريثة هذه الدولة فى كل شىء ، وان باكستان اخذت تبني نفسها من البداية .

وان الهند ورثت مراكز الصـناعة والتعدين والمدن الكبرى الهامة والمطارات والموانىء ، وأن باكستان لم ينلها من ذلك شيء وكانت كالأخ الذى يخرج من بيت الأسرة المدعم المؤثث المنظم ليبدأ بناء بيت ، واقامة حياة جديدة ، عرفنا من ذلك كله مدى ما عانته باكستان فى سبيل بناء نفسها والاحتفاظ بكيانها .

سر دخولها الأحلاف الغربية

ولعل هـذه الصـعوبات التي واجهت زعماء الدولة الحديثة ، وشعورهم بالحاجة الى عـون يساعدهم على بناء دولتهـم ، والانتصـار على التحديات التي واجهتهم ، لعل ذلك هو الـذى دفع بالحكومات الباكستانية الى طلب المعونة من الغرب « انجلترا وامريكا » وبالتالي الى السير فى الاتجاه الذى تسير فيه السياسة الغربية ..

ولقد استفادت باكستان فعلا بهذه المعونات فى تنظيم شؤونها ، واقامة المصانع والمنشئات وتكوين جيش قوى مسلح بأحدث الأسلحة .. ولولا هذه المعونات لما استطاعت أن تخطو فى هذه السنوات القليلة هذه الخطوات الواسعة فى النواحى الصناعية والعمرانية والحربية .. وهذه ناحية قد تغيب عن كثيرين ممن يسارعون فى الحكم ، وتشغلهم ظواهر الأمور عن أسبابها وبواطنها ، فيعيبون على باكستان أنها سارت فى خط السياسة الغربية .. مع أنها لم تكن الا كما يقول المثل العربي « مرغم أخاك لا بطل » .

والارغام الحقيقي هنا كان مبعثه الرغبـة فى اقامة الدولة الوليدة بمختلف الضرورات التـي يقتضيها قيام دولة فى ظروف صعبة ، وفى وجـه تيارات عاصفة ، وأمـام تحديات وانذارات ممن كانوا يعارضون التقسيم ، ويقولون سوف تضطر للرجوع الى الدولـة الأم ، كما يحتاج الأخ أو الولـد المنفصـل عن بيت الأسرة الى الرجوع أخيرا اليه ، بعد أن تقهره الأيام وتحنى ظهـره الصعوبات .

شعب مسلم

ومع أن الحكام فى باكستان كانوا يسيرون غالبا فى هذا الاتجاه ، ويجاملون الغرب ، فان الشعب المسلم فيها كان يعيش دائما مع المسلمين فى آمالهم وآلامهـم . وكان ينتفض أحيانا على حكومته ، ويثور عليها لأنها وقفت موقفا أعطت فيه ظهرها لأحد الشعوب المسلمة مجاملة للغرب . وقد تمثل ذلك بوضوح حين الاعتداء الثلاثي على مصر ، فقد ثار الشعب على حكومته ثورة عارمـة ، واجتاحت المظاهرات المدن والقرى ، تطالب بمساعدة مصر ، وتجمع المعونات لها ..

باكستان وفلسطين

ولا نستطيع مع ذلك أن ننكر أن حكومة باكستان وقفت مع العرب ولا تزال تقف ضد اسرائيل وقفة صلبة فلم تعترف بها ، ولم تتبادل معهـا أى تمثيل على أى مستوى انتصارا منها لقضـية فلسـطين .

بينما الهند الدولة الصديقة للعرب تتبادل مع اسرائيل التمثيل القنصلي ، ولاسرائيل قنصـل فيها يقوم بنشاط ملحوظ ضد البلاد العربية ، مما أدى أخيرا الى لفت نظره من حكومة الهند بعد أن أدى السفراء العرب واجبهم ازاء هـذا النشاط ..

بل ان بلادا اسلامية ودولا صديقة للعرب فى الشرق والغرب تتبادل مع الدولة اللقيطة التمثيل السياسي أو القنصلي والتجارى ..

وكان موقف باكستان المشرف من قضية فلسطين هو احدى الحجج القويـة التي يتذرع بهـا الباكستانيون لدى العـرب ، حين يطالبونهـم بالوقوف فى صفهم من أجل قضية كشمير ، كما يقفون معهم فى قضية فلسطين .

كشمير في التاريخ

والآن يأتي دور عرض قضية كشمير على القراء عرضا تاريخيا بعد أن قامت الحرب الطاحنة بين الدولتين بسببها ..

كانت كشمير جزءا من الامبراطورية الاسلامية حين كان الحكم الاسلامي قائما بالهند . وحين ضعف هذا الحكم في أواخر أيامه انتهز ((السيخ)) في الشمال هذه الفرصة ، وزحفوا على كشمير واستولوا عليها سنة ١٨٠٩ م .

وحين أخذ الانجليز يطوون البلاد الهندية ويستولون عليها ولاية بعد ولاية أخضعوا أمير كشمير لهم . وأبقوه حاكما لها تحت نفوذهم ، حتى جاء التقسيم وأميرها أو حاكمها هو المهراجا ((هارى سنك)) .

وكشمير من الولايات التي تسكنها أغلبية مسلمة ، فان عدد سكانها يبلغون أكثر من أربعة ملايين : المسلمون منهم فوق الثلاثة ملايين .. بحيث يمكن أن نقول : ان نسبة المسلمين فيها تبلغ نحو الثمانين في المائة ..

وقد قام حكم المهراجا فيها على أساس الضغط على المسلمين واضطهادهم بعد أن انتزع أجداده الحكم فيها منهم . فكان ينظر اليهم على أنهم أعداء يتربصون به ويتحكمه الفرص لينقضوا عليه فكانت سياسته تقليم أظفارهم ، وتجويعهم ، والحيلولة بينهم وبين المناصب الكبيرة عسكرية ومدنية ..

وحين اضطر الانجليز والهندوس الى الرضوخ لفكرة تقسيم الهند الى دولتين على أساس ديني ، أي حسب دين أغلبية السكان في الولاية .. كما أراد زعماء باكستان كان هناك بجوار الولايات التي حكمها الانجليز في الهند حكما مباشرا ولايات أبقوا حكامها القدماء عليها أمراء تحت نفوذهم ، وكانت تبلغ في جسم الهند الكبير أكثر من خمسمائة امارة تمثل بقعا على الجسم الكبير . من هذه الامارات امارة كشمير التي كان يحكمها المهراجا ((هارى سنك)) كما قلنا سابقا .

مصير هذه الامارات

وحين أخذ الانجليز والزعماء الهندوس والمسلمون يضعون خطط التقسيم لم يكن النص على مصير هذه الامارات واضحا محددا كما حصل في المناطق التي يحكمها الانجليز حكما مباشرا ، وقيام التقسيم فيها على أساس الأغلبية الدينية ، فقد أراد الانجليز أن يجاملوا الأمراء ، فأعطوهم الرأى في مصير ولاياتهم . ولكن ((لورد مونتباتن)) نائب الملك في الهند والذى كان يتولى عملية التصفية والتقسيم وجه نصيحة الى أمراء الولايات بأن يراعوا في تقرير مصير ولاياتهم في الانضمام للهند أو باكستان رغبة الشعب ، ودين الأغلبية فيه ، والموقع الجغرافي للولاية . وهذه الميوعة في تحديد مصير الولايات كانت سببا في الحوادث التي حدثت في بعض الولايات . فقد انضمت الولايات كلها اما الى الهند واما الى باكستان دون ضجيج بناء على هذه النصيحة . لكن ثلاثة منها صاحب انضمامها شيء من الحوادث .

١ : ـ حيدر أباد

فقد أخذ حاكمها المسلم مهلة للتفكير وظهرت رغبته في عدم الانضمام للهند ، وآثر ان لم ينضم لباكستان أن يبقى شبه مستقل وتكون علاقته مع الهند كما كان مع انجلترا ، وتنتقل المعاهدات التي كانت بينه وبين انجلترا الى الهند ، وهذه الولاية تقع في وسط الهند الجنوبي تحيط بها أرض الدولة الهندية ، وسكانها نحو ١٧ مليونا أغلبيتهم الكبرى من الهندوس .. وقد تذرعت حكومة الهند بهذا فهجمت على الولاية بجيشها وقامت حرب بين الجيشين لم تستمر طويلا ، وضمتها الى الدولة الهندية وذلك قبل انقضاء المهلة التي أخذها ..

٢ : ـ جوناكدا

وهذه الولاية تقع على الحدود بين الهند وباكستان الغربية وأميرها كان مسلما كذلك وأعلن رأيه في الانضمام الى باكستان برغم أن أغلبيتها من الهندوس فاحتجت الحكومة الهندية على قبول باكستان انضمامه واعتبرت ذلك ((خرقا فاضحا للمبادىء التي تم الاتفاق بموجبها على تقسيم الهند ونفذت .

ثم قام الشعب ببعض المناوشات ، مما اتخذته الهند وسيلة لتدخلها ، وزحفت بجيشها على الولاية ، وفر الأمير الى باكستان ، وأعلنت الهند ضمها الى أراضيها . فقامت الباكستان تحتج لدى مجلس الأمن على تدخل الهند في ولايتي حيدر أباد وجوناكدا وضمهما اليها بالقوة . ولم يجد الاحتجاج نفعا .. وانتهى كل شيء في الولايتين .

ويلاحظ هنا أن الهند لم تعتد برأى الأميرين ونظرت الى أغلبية الشعب وزحفت بجيشها تحقق رغبة هذه الأغلبية .

٣ : ـ كشمير

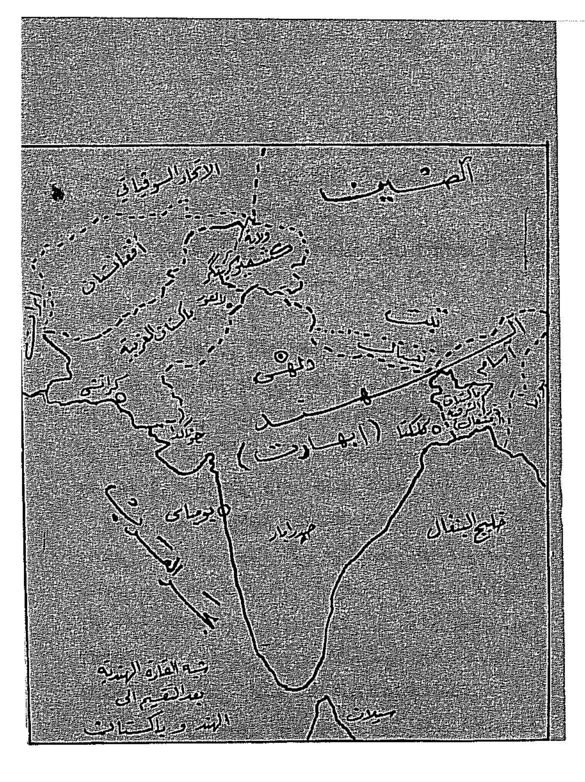
ـ ونظرا لأن اغلبية شعبها من المسلمين ـ كما عرفنا ـ قامت هذه الأغلبية قبيل التقسيم وأعلنت رأيها فى الانضمام لباكستان ، وذلك على لسان مختلف الطوائف والمنظمات فيها .. وقابل الأمير هذه الرغبة الشعبية بالعنف والاضطهاد وشن على المسلمين حملة من الارهاب منقطعة النظير ، وقامت بين قواته والشعب التحامات دموية مما جعل رجال القبائل المسلمين فى باكستان يهبون لنجدة اخوانهم فى كشمير .

وفى هذا الجو المشتعل كان زعماء الهند يعملون لضم المهراجا الى جانبهم ، بالرغم مما كان بينه وبينهم قبل من عداء . فزاره غاندى ومكث فى الولاية بضعة أيام فى الوقت الذى كانت المذابح الدموية تجتاح الهند كلها من اجل التقسيم ، وبرر هذه الزيارة بأنها وفاء بعهد قديم لوالد المهراجا بزيارة كشمير ! !

الشيخ عبد الله

ولعب الشيخ عبد الله الذى تطلق عليه الصحافة الآن ((أسد كشمير)) لعبته بالاتفاق مع زعماء حزب المؤتمر فى دلهي، ومع الحاكم فى كشمير للحيلولة بين انضمام كشمير لباكستان . وكان الشيخ عبد الله يمثل حزب المؤتمر فى كشمير وكان المهراجا ينظر اليه والى حزب المؤتمر فى الهند نظرة عداء مما جعله يحول مرة بين نهرو وبين زيارة كشمير من قبل ، ويرده بعد أن اجتاز حدود الولاية وجعله يزج بالشيخ عبد الله نفسه فى السجن وصدر عليه حكم بالسجن تسع سنوات بحجة أنه يخل بأمن الولاية .

ولكن هذا العداء بين المهراجا وبين زعماء حزب المؤتمر ومثلهم فى كشمير الشيخ عبد الله انقلب الى صفاء تام حين جمع بين المتنافرين المتخاصمين روح العداء لباكستان والعمل على عدم ضم كشمير اليها فاخرج المهراجا الشيخ عبد الله من السجن بعد مرور سنة وشهور عليه وهذا ذهب بدوره الى دلهي وقابل نهرو .. وأخذ الخطة المرسومة



ورجع الى كشمير نصيرا ومعاونا للمهراجا بعد شهر من اطلاق سراحه فعينه مديرا لادارة الطوارىء فى الولاية ثم رئيسا للوزارة وبدأ الشيخ عبد الله يلعب لعبته مع المهراجا ضد باكستان .

وفى ٢٦ اكتوبر ٤٧ اعلن المهراجا انضمام ولايته الى الهند وأعلنت الهند من جانبها قبول هذا الانضمام وزحفت القوات الهندية على كشمير واخذت تخمد الثورة القائمة فيها ضد المهراجا ..

وثار الشعب الباكستاني وطالب زعماءه بدخول القوات الباكستانية كشمير لانقاذ شعبها ولكن ((الفيلد مارشال أوكنلك عارضه فى ذلك فلم تتحرك القوات الباكستانية .

بينما كانت هناك قوات أهلية باكستانية زحفت على الجزء الشمالي الغربي من الولاية ، واستولت عليها ، وكونت منها ((كشمير الحرة)) أو ((آزاد كشمير)) .

وازاء تعذر دخول القوات النظامية الباكستانية الى كشمير بعد انذار القائد الانجليزي اقترح ((جناح ولياقت علي خان)) ايقاف القتال الدائر فى كشمير بين الجيش الهندي والقوات الأهلية واصدار بلاغ مشترك من الحكومتين ينوه باجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين .

ولكن حكومة الهند رأت ان ((كشمير))

أصبحت جزءا لا يتجزأ من الهند وليست من حق الباكستان فى شيء فاذا أجرى استفتاء فالهند هي التي تقوم به .

وفى يناير ١٩٤٨ رفعت شكوى الى مجلس الأمن تتهم فيها باكستان بمساعدة رجال القبائل لاثارة الفوضى فى بلادها .

وأرسل مجلس الأمن مندوبين عنه لحل هذه المشكلة ولكن لم ينجح أحد فى حلها نظرا لاصرار كل فريق على وجهة نظره ، ولأن الهند لا تريد أن تتخلى عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها معتمدة فى ذلك على رأى حاكم كشمير (١)

ومنذ ذلك الوقت وقضية كشمير معلقة أمام مجلس الأمن لم يصل الى حل عملي لها ، وبقيت كالخراج فى جسم كل من الدولتين أو بقيت كاللغم الصالح للانفجار فى أى وقت .. ولم تنجح المفاوضات المباشرة بين الدولتين ولا المساعي المبذولة من محبي السلام فى انهاء هذه القضية ..

وافقت كل من الدولتين أولا على اجراء استفتاء لتقرير المصير كما قرر مجلس الأمن ولكن وضعت كل منهما شروطا لتنفيذ هذا الاستفتاء جعل من الصعب اجراءه ..

ومرت الأيام والسنون والهند تثبت اقدامها فى أرض كشمير ، وتجري الاصلاحات فيها بعد أن ضمتها نهائيا بمقتضى الدستور الهندي سنة ١٩٥٦ واصبحت ولاية من ولاياتها ، لا يمكن لاى هندي أن يفرط فيها والا اتهم بالخيانة والمروق .

بينما باكستان ترى من العار عليها ان تترك شعبا مسلما تضمه الهند اليها بالقوة فى الوقت الذي لا يرغب فيه فى هذا الانضمام .

سياسة الأمر الواقع

يقول نهرو فى محادثاته مع رئيس وزراء باكستان سنة ١٩٥٦ « ان عليكم أن تعترفوا بالحقائق كما هي ، اذ لن يجدي فتيلا آن يظل العمل قائما على أسس قديمة قد تغيرت وتبدلت معالمها ، لما ينطوي عليه ذلك من تجاهل لحقائق الموقف » .

وفى هذا الكلام يبدو نهرو مناديا بالخضوع لسياسة الأمر الواقع فى كشمير حيث لم تصبح هناك فائدة فى أية مفاوضات تغير من الوضع القائم وعلى باكستان أن ترضخ لذلك ، وتسلم به ، وتنفض يدها نهائيا من هذه القضية .. منطق يشبه منطق اسرائيل والمساندين لها فى اغتصاب فلسطين !!

ويقول نهرو « لقد جاء انضمام كشمير الى الهند مستوفيا لجميع الشرائط القانونية والدستورية هذه حقيقة لا يمكن أن يأتيها الباطل من خلفها ولا من قدامها » .

وجهة نظر باكستان

ويقول السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان فى خطاب القاه سنة ١٩٥٥ .

« انه لم تكن هناك ضرورة لقيام نزاع حول كشمير ، ولو كانت الهند قد احترمت بعض الاتفاقات التي تضمنت الأساس الصحيح لتقسيم شبه القارة أو أنها التزمت بالاجراء الذي اتبعته فى قضايا ضم الولايات اليها لما كان هناك بالمرة قضية بشأن كشمير » .

ويقول « ان كل الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية فوق أن أغلبيتها مسلمة تجعل انضمام كشمير لباكستان امرا طبيعيا » .

وجاء فى كتاب « ملامح الهند » (٢) .

« ان كشمير يبلغ تعداد سكانها ٤ ملايين نسمة أغلبهم من المسلمين . وارتباط كشمير الاقتصادي بالباكستان أقوى من ارتباطها بالهند ومن ثم فالحق أوضح فى موضوع ضمها لباكستان دون الهند وجاء فى كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند (٣) » .. وتحت عنوان : موقف متناقض :

« اعتمدت الهند على رأى امير كشمير واعلانه الانضمام للهند فقبلت منه ذلك ولم تبال برأى الأغلبية المسلمة التي تعارض الانضمام للهند ... هذا فى كشمير .

أما ولاية « جوناكدا » على الحدود الغربية للهند فقد كان أميرها مسلما ولكن أغلبية سكانها من الهندوس . فأعلن الأمير انضمامه لباكستان

---

١ ـ نقلا عن باكستان فى ماضيها وحاضرها تأليف الأستاذين البطريق وعطا ص ١٠٤

٢ ـ للدكتورين محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

٣ ـ للاستاذ عبد المنعم النمر ص ٣١٢ .

ولكن أغلبية الشعب ثارت ضده فأرسلت حكومة الهند قواتها النظامية تلبية لرغبة الشعب فاقتحمت الولاية واجرت استفتاء شعبيا كان من الطبيعي أن تكون النتيجة فيه انضمام الولاية للهند بأغلبية ٩٠٪ . »

« فالهند قبلت رأى الأمير الهندوسي واعتبرته فى كشمير ، ولم تبال بأغلبية الشعب المسلم ولا بثورته وأرسلت قواتها لاخماده ومعاونه الأمير . ولم تعتمد رأى الأمير المسلم فى « جوناكدا » وأرسلت قواتها لتنجد الشعب الهندوسي اعتمادا على رأى أغلبية الهندوس » !!!

وفى حيدر أباد « لم تعبأ الهند مرة ثانية برأى الأمير المسلم واعتمدت على أن أغلبية الشعب فى الامارة من الهندوس واستعملت القوة فى ضمها »

« وظهر التناقض فى تصرفاتها ازاء الامارات الثلاثة واضحا جليا . فلو كانت العبرة فى الضم برأى أغلبية الشعب وموقع الولاية الجغرافي ، ومصالحها المشتركة لفقدت الهند حجتها فى كشمير . »

« ولو كانت العبرة برأى الأمير دون مراعاة لرأى الشعب فى الولاية لوجدت الحجة فى كشمير وفقدتها فى « جوناكدا » « وحيدر أباد » .

« وهكذا لم تتصرف الهند تصرفا مقبولا ولا معقولا ولا متسقا فى الاستيلاء على الولايات الثلاثة مستعملة حجة هنا ونقيضها هناك مما يعيد الى ذاكرتنا تصرفات المستعمر القوي المتناقضة » !

ولقد كانت الميوعة التي صيغ بها قرار مصير الولايات ، وعدم الحسم فى اختيار الأساس الذي تضم على أساسه هو السبب فى كل ما حدث .. وهل كان يغيب عن المستعمرين الذين أرغموا على ترك « درة التاج البريطاني » عواقب هذه الميوعة ؟ وهل كان يهمهم بعد أن يخرجوا أن تستقر الحال فى البلاد التي تركوها ؟

لقد تعودنا منهم دائما أن يتركوا وراءهم فى كل بلد يتخلص منهم مشكلات تشغل الشعب المتحرر عن النهوض وتثير أمامه العقبات ..

واذا كنا نرى فى موقف الهند تناقضا فاننا حين نتجه الى باكستان نجد نفس هذا التناقض تجاه الولايات الثلاثة ..

جاء فى كتاب كفاح المسلمين فى تحرير الهند (١)

« لماذا قبلت الباكستان رأى الأمير المسلم فى الانضمام اليها ولم تراع أغلبية الشعب الهندوسي؟ فهل كانت العبرة عندها برأى الأمير أم ماذا ؟ أظن أن المسألة تركت عائمة بدون تحديد تام ، ومن هنا جاء التخبط فى تصرف الدولتين..الخ ».

ومن هنا نجد من الضروري أن نلقي تبعة هذا التخبط وما ترتب عليه من مشكلات ، ودماء مهدرة ، ومن حرب طاحنة تدور رحاها بين الدولتين الآن على المستعمر وعلى الذين كان فى يدهم الحسم والبت من زعماء الهند وباكستان ..

ان أحدا خارج الهند وباكستان لا يستطيع أن يتصور الآن المآسي التي يغرق فيها كلا الشعبين..

وكان هؤلاء الى عهد قريب اخوة يجابهون المستعمر صفا واحدا ، وروحا واحدة ..

انني لا أتوجه الى مجلس الأمن ومندوبه بأى رجاء أو أمل فقد ضاعت هيبة المجلس بعد أن ظلت القضية معلقة امامه سبعة عشر عاما ولكني أتوجه الى زعماء العرب والمسلمين والى زعماء المؤتمر الافريقى الآسيوي ودول عدم الانحياز برجاء الا يكتفوا بالكلام والبرقيات لزعماء الدولتين، بل عليهم أن يخطوا خطوات عملية سريعة ويتصلوا بقادة الدولتين لايقاف الحرب الدائرة ثم يبدأوا فى حل المشكلة على أساس من الحق والعدل الذي ينادي به الجميع ، ويتم استفتاء « تقرير المصير » فى جو محايد يضمن الحرية للشعب فى تقرير مصيره .

واذا كانت الهند دولة صديقة للعرب وكنا نحن جميعا من محبي السلام والوئام فاننا لا يمكن أن نكتم عواطفنا تجاه الشعب المسلم ، فذلك أمر طبيعي لا سبيل الى حبسه ، ومع ذلك فاننا ندعو الله فى كل نفس يتردد أن يظلل الشعبين برحمته ، ويلهم قادتهما الرشد والصواب .. وكفى ما أصابهما من خسارة فى الأرواح والأموال..

ع . ن

---

١ ـ هامش ص ٣١٩ للاستاذ عبد المنعم النمر .

نفحة الصحراء

يا شعر يانغـم الخلـودِ ... يانفحـةَ المجد التليـدِ
يا ناشرَ الامجادِ أُنشـر ... قصةَ النصر الفريـدَ
أنشر وردّد نفحـة الصحـراء ، واصدحْ بالنشيد
وانثر على هام الزمـا ... ن قلائدَ الـدُّررِ النضيـد
هي في الزمـان مشعّـة ... لاتُمّحى أبدَ الابيـد
تبقى على مر العصـو ... رمنارةَ الفجرِ الجديـد
يشتاقها الطماح طَـلاً ... بُ التقـدم والصعـود
تفنى الدهـور ونورُهـا ... يسرى بآفـاق الوجـود
من نورها قبس الزمـا ... نُ فراح يرفُلُ فى السعـود
ياشعرُ هاتِ حديثَهـا ... فحديثُهـا وحىُ الخلـود

* * *

كان الظـلام مخيِّمـاً ... في الأرض .. في رحب المرابعْ
والعالم المسكين يبحـث ... عن مواسٍ أو مُدافـع
والظلم قد عم البـلا ... دَ ، فلا تجد الا المطامـع
والبغى يفتكُ في الربـو ... ع فتستحيلُ ربىً بلاقـع
تشكو الجموعُ من المفـا ... سد والمباذل والزعـازع
تترقب الانـوارَ تسـا ... ل نفسَها أين المطالِـع
من أين يأتى النـورُ ، فالـ ... ـظلمات طبقـتِ المواقـع
ومتى تجود بخيرهـا ... تلك السماواتُ اللوامـع
فاتى النـداء مـرددا : ... ألنور في الصحراء ساطـع
بشراك يا صحـراء إنَّ ... النـور للظلمـات قاطـع

* * *

بشراك يا أمَّ القـرى ... بالمرسَل الهادى البشـيرِ
بشراك بالنـور الـذى ... غمـر المرابعَ بالسـرور

الاستاذ فاضل خلف

بشرى الصحارى انها ... صارت منارات العصور
وغدت معينا صافيا ... للحق والخيرِ الوفير
بشرى الجماهيرِ التي ... حنت إلى الحق المنير
يا فرحة الانسان في ... كل المدائنِ والثغور
يا فرحة الضعفاء قد ... وافاهُمُ عزُّ الدهور
عز سيبقى خالدا ... في مسمعِ الزمن الوقور
متلالئ الانوار وضاحٌ إلى يوم النشور
متفاوحٌ بالعطر ريانُ الحواشي بالعبير

★ ★ ★

ظهر النبي محمد ... في قلب صحراء الاعاربْ
فانجاب عن أرجائها ... ليلٌ ، وأزهرتِ المضارب
وتجمع الشمل البديد فصار صفا غير خائب
ومضى النبي بنوره يجلوعن الحي الغياهب
فغدت به أرض الجزيرة موطناً ، للمجد ، طالب
وغدا به الدين الحنيف مظفرا في كل جانب
وغدت ترفرف راية الاسلام عالية الذوائب
والنصر خفاق اللواء على الفيالق والمواكب
وجوانب الصحراء تسبحُ في مجاليها الكواكب
أنوارُها الغراء طبقت المشارقَ والمغارب

★ ★ ★

قد جاء نصر الله . يا ... صحراء تيهي بالطيوبِ
وتدفق الخيرُ العميم عليك من كل الدروب
والكون هلل باسما ... للنصر والفتحِ القريب
وتَقَدّمَ الاسلام في ... شتى الممالك والشعوب

يدعو إلى العليـــاء يَنشـــــــــرُراية المجد المهيـــب
فأقام في رحـــب الأبـــــا طح دولـــةَ العـــز الخصيـــب
هي دولةٌ كالشـمس تسخـــــــــو لا تكفُّ عن الوهـــوب
في الشرق مجـــدٌ مالـــــــه أبد الاداهــر من ضريـــب
في الغــرب ذكــرٌ عاطـــر عـــزت ذراه علـى المغيـــب
والفضــل للصحــراء فهـــى مواطــن السعى الــدءوب

★★★

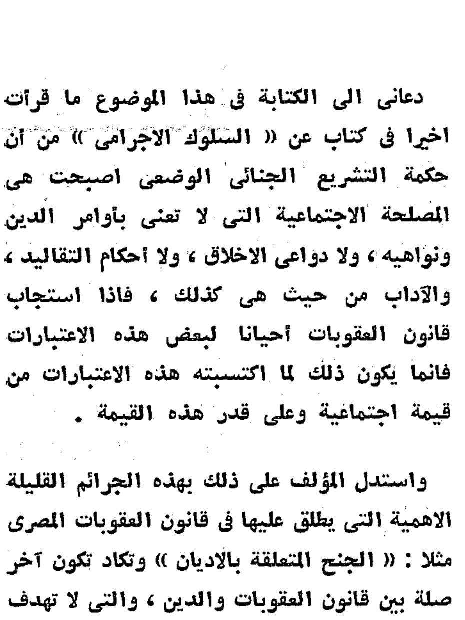
الفتح لم يك غــــاية بل كان بابـــا للمفاخــــرْ
قد كان بابـــا للعلــــــو م وللمعـــــارف والمآثــــر
أهدى الحضـــارةَ للشـــعو ب فازهرت فيهـــا المنائـــر
وغدت تجـــــود بفيضهـــا وتسح بالسُّحُبِ المواطـــر
سُحُبٌ من الامجــــاد لا تبلـى على مـــر الاداهــــر
قد أهدت الدنيـــا معينـــــــا من مآثرهـــا العواطـــر
وغدت معلمة العصـــــو ربما افاضـــت من ذخائـــر
فصحائف التاريخ تذكـــر كل وضّـــاح وباهـــــر
وبقية الآثـــــار تشـــــــهدُ للمغاويـــر العباقـــر
تزهـــو على مـــر العصـــو ر وتنطـــقُ الكلـــمَ الزواهـــر

★★★

يانفحة الصحـــــراء عـــو دى وازدهـــى بين الجمـــوعِ
واهدى الاباطـح من شعـــا عك واستمـــرى فـــى السطـوع
وردِى الديار وعطرى الدنـــــيا بانفاس الربيــــع
ودَعي الشـذا الفـــواح يعبـــــق في ثنيّـــات الربـــوع
فلقـــد حننـــا للمـــآثـــــــر وازدرينـــا بالهجـــوع
وتطلعـــت أطماحُنَـــــا للفخـــر والنصـــر الينيــــع
والشـــوق للامجــــاد ير قص في الحنايـــا والضلـــوع
هُبِّي علينا وانفحينـــــــا من ذرى العـــز الرفيـــع
واستلهمـــى الماضـــى ففيـــــه روائعُ الدر اللميـــع
يانفحة الصحـــــــراء يـــا وهّابـة المجـد المنيـــع



للاستاذ
احمد فتحي البهنسي



دعانى الى الكتابة فى هذا الموضوع ما قرأت اخيرا فى كتاب عن ((السلوك الاجرامى)) من أن حكمة التشريع الجنائى الوضعى اصبحت هى المصلحة الاجتماعية التى لا تعنى بأوامر الدين ونواهيه ، ولا دواعى الاخلاق ، ولا أحكام التقاليد ، والآداب من حيث هى كذلك ، فاذا استجاب قانون العقوبات أحيانا لبعض هذه الاعتبارات فانما يكون ذلك لما اكتسبته هذه الاعتبارات من قيمة اجتماعية وعلى قدر هذه القيمة .

واستدل المؤلف على ذلك بهذه الجرائم القليلة الاهمية التى يطلق عليها فى قانون العقوبات المصرى مثلا : ((الجنح المتعلقة بالاديان)) وتكاد تكون آخر صلة بين قانون العقوبات والدين ، والتى لا تهدف الى حماية الدين فى ذاته بل الى حماية حرية الاعتقاد ، واقامة الشعائر الدينية ، وتوفيرا لحكمة اجتماعية هى أن يعيش أهل الملل المختلفة فى سلام ووئام .

والحق أنه رأى خطـير ، ولا أدرى اذا كان ما نصت عليه المادة السابعة من قانون العقوبات المصرى وهى ((: لا تخل احكام هذا القانون فى أى حالمن الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء)) يلفت النظر الى ما للدين من أثر لا يمكن أن يترك فى التشريع .

ولسنا هنا نناقش السيد المؤلف فى شرحه للواقع الخطر، وما اذا كانتحكمة التشريع الجنائى الوضعى قـد انقلبت كذلك .

وانما نريد أن نعرض على الســادة القراء نظرة الشريعة الثاقبة الى السلوك الاجرامى ، سواء كان ذلك متعلقا بذات المجرم ، او بالجريمة أو بالعقوبة ، حتى يرى الناس نفحات جلية فى تشريعهم الجنائى الاسلامى .

النظرة تجاه المجرم :

كان المشرع الاسلامى ولا يزال ينظر الى المجرم نظرته الى شخص ضل الطريق ، فهو يريد ان يأخذ بيده ويرشده الى سواء السبيل .

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل : قال :

« أذنب عبدى ذنبا فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى :

أذنب عبدى ذنبا ، فعلم ان له رباً ، يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : اى رب اغفر لى ذنبي » . فذكر مثله مرتين — وفى آخره : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » . اخرجه مسلم .

وفى هذا الحديث دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب ، لان التوبة الاولى طاعة وقد انقضت وصحت ، وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثانى الى توبة آخرى مستأنفة ، والعود الى الذنب وان كان أقبح من ابتدائه ، لانه اضاف الى الذنب نقض التوبة ، فالعود الى التوبة احسن من ابتدائها .

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق فى حق من تنفذ عليه العقوبة ، فلا يسب ولا يلعن ، تلمس ذلك من الآثار الآتية :

١ — قال أبو هريرة رضى الله عنه : أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب قال :

« اضربوه » . فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم ، اخزاك الله . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان » . رواه البخارى وابو داود .

٢ — كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يسمى عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك النبى صلى الله عليه وسلم . وكان قد جلده فى الشراب فاتى به يوما فأمر به فجلد فقال بعض القوم : اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله » رواه البخارى .

قال بعض الشراح : فيه النهى عن اللعن ، وفيما قبله النهى عن مطلق الدعاء على المرتكب ، بل المطلوب الدعاء له بالهداية .

قال الدهلوى فى « حجة الله البالغة » : نهى رسول الله صلم الله عليه وسلم عن لعن المحدود والوقوع فيه ، لئلا يكون سببا لامتناع الناس من اقامة الحد ، ولان الحد كفارة والشيء اذا تدورك بالكفارة صار كأن لم يكن ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، انه لفى انهار الجنة منغمس بها »

٣ — وورد فى الموطأ .

حدثنى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا من اسلم جاء الى ابى بكر الصديق فقال له : ان الآخر زنى — فقال له ابو بكر : هل ذكرت هذا لاحد غيرى ؟ فقال : لا ، فقال له ابو بكر : فتب الى الله واستتر بستر الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده ، فلم تقرره

نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب فقال له مثلما قال لابى بكر ، فقال له عمر مثل ما قال له ابو بكر ، فلم تقرره نفسه حتى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ان الآخر زنى فقال سعيد : فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ــ كل ذلك يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أكثر عليه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله . فقال : « أيشتكى أم به جنة » ؟ فقالوا : يا رسول الله انه لصحيح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم« أبكر أم ثيب » . فقالوا : بلثيب يا رسول الله . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم .

وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلين من اصحابه يقول احدهما لصاحبه : الم تر الى هذا ألذى ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجليه فقال : « اين فلان وفلان » ؟ فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، فقال : انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار ، « فقالا : يانبى الله من يأكل هذا ؟ قال : « فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذى نفسى بيده أنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها » .

وفى رواية أبى داود قال : لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم برجم ماعز خرجنا به الى البقيع، فوالله ما أوثقناه ولا حفرنا له ، ولكنه قام لنا فرميناه بالعظام والمدر والخزف ، فاشتد الى قوله حتى سكت ــ قال بعده : فما استغفر له ولا سبه .

وفى رواية اخرى له قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نحوه ، وليس بتمامه . قال : ذهبوا يسبونه فنهاهم ، قال : ذهبوا يستغفرون له ، فنهاهم . قال : « هو رجل اصاب ذنبا ، حسيبه الله » .

٤ ــ كما ورد فى الموطأ :

حدثنى يحيى عن مالك عن عبدالرحمن ابن القاسم عن أبيه أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم على أبى بكر الصديق فشكا اليه أن عامل اليمن قد ظلمه .

فكان يصلى من الليل فيقول أبو بكر : وأبيك ما ليلك بليل سارق . ثم انهم فقدوا عقداً لأسماء بنت أبي عميس امراة أبي بكر الصديق . فجعل الرجل يطوف معهم ويقول : اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح. فوجدوا الحلى عند صائغ زعم ان الاقطع جاءه به فاعترف به الاقطع او شهد عليه به . فأمر به ابو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى . وقال ابو بكر : والله لدعاؤه على نفسه اشد عندى عليه من سرقته .

فهذا القول الاخير من ابيبكر الصديق يرينا الناحية الانسانية التي دفعت الخليفة لهذا القول .

ولكى يعاقب المجرم يجب أن يكون :

١ ــ مختارا غير مكره ولا مضطر .

أ ــ روى البخارى عن نافع مولى ابن عمر : أن صفية بنت أبي عبيد اخبرته : ان عبدا من رقيق الامارة وقع على وليدة من الخمس ، فاستكرهها حتى افتضها فجلده عمر ، ولم يجلدها من أجل انه استكرهها .

وفى رواية للترمذى قال : استكرهت

امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدرأ عنها الحد . وأقامه على الذى أصابها .

ب ــ والمضطر الى شرب الخمر لا يعاقب اذا كان شربه لها لدفع غصة « وهى ما يقف فى الحلق من عظم ونحوه »

قال الشافعى : فيحل ما حرم : من الميتة والدم ولحم الخنزير وكل ما حرم ــ مما لا يغير العقل من الخمر للمضطر . والمضطر : الرجل يكون بالموضع ، لاطعام معه فيه ، ولا شىء يسد فورة جوعه ، من لبن ، وما اشبهه ، ويبلغه الجوع ما يخاف منه الموت ، او المرض ، وان لم يخف الموت ، أو يضعفه او يضره ، أو يعتل ، او يكون ماشيا فيضعف عن بلوغ حيث يريد او راكبا فيضعف عن ركوب دابته . اوما فى هذا المعنى من الضرر البين .

ويشترط فى المضطر أن يكون غير باغ، ولا عاد ولا متجانف لاثم .

واذا اضطرت المرأة او الرجل على ارتكاب الزنا وتوافرت شروط الضرورة لا يعاقب واحد منهما .

فى السنن للبيهقى عن ابى عبد الرحمن السلمى أنه اتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع فاستسقت فابى أن يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ففعلت فشاور الناس فى رجمها فقال على : هذه مضطرة أرى أن يخلى سبيلها ، ففعل .

قال ابن قيم الجوزيه :

والعمل على هذا ، لو اضطرت المرأة الى طعام او شراب عند رجل فمنعها الا بنفسها ، وخافت الهلاك فمكنته من نفسها ، فلا حد عليها ، لان حكمها حكم المكرهة بالقتل على الزنا ، والمكرهة لا حد عليها ، ولها ان تفتدى من القتل بذلك .

وكتب الفقه عامرة بمثل هذه الفروض فى جرائم القتل والاتلاف الذى تدرأ فيه العقوبة لوجود حالة الاضطرار .

٢ ــ بالغا .

٣ ــ عاقلا .

عن الترمذى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » .

وذلك لأن العقل والبلوغ شرط لأهلية العقوبات كلهـا .

وعن عبد الله بن عباس قال : اتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسا فأمر بها عمر ان ترجم فمر بها على بن ابى طالب فقال : ما شأن هذه ؟ قالوا مجنونة بنى فلان زنت ، فامر بها عمر أن ترجم ، فقال : ارجعوا بها ، ثم أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة : عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يعقل ؟ فقال : بلى .

قال : فما بال هذه ؟ قال : لا شىء ، فارسلها، فارسلها عمر . قال : فجعل يكبر .

٤ ــ عامدا .

أى أن يكون قاصدا للاجرام فان كان مخطئا تغير وضعه فعقوبة القتل العمد القصاص ، اما القتل الخطأ ففيه الاثم دون اثم القتل العمد ، والدية والكفارة ، وحرمان الميراث .

٥ ـ ألا يكون جاهلا .

فالجهل فى الفقه الاسلامي يصبح عذرا اذا لم يصحبه تقصير من الجانى قال محمد بن حزم : من أصاب شيئا محرما فيه حد اولا حد فيه وهو جاهل بتحريم الله تعالى فلا شىء عليه فيه ، لا اثم ولا حد ولا ملامة ، لكن يعلم ، فان عاد أقيم عليه حد الله تعالى ، فان ادعى جهالة نظر فان كان ذلك ممكنا فلاحد عليه أصلا ، وقد قال قوم بتحليفه ، ولا نرى عليه حدا ولا تحليفا ، وان كان متيقنا انه كاذب لم يلتفت الى دعواه .

وقال ابن قدامة فى « المغنى » : لاحد على من لم يعلم تحريم الزنا : قال عمر وعثمان وعلى : لا حد الا على من علمه وبهذا قال عامة أهل العلم ، فان ادعى الزانى الجهل بالتحريم وكان يحتمل ان يجهله كحديث العهد بالاسلام والناشىء ببادية ، وان كان ممن لا يخفى عليه ذلك كالمسلم الناشىءبين المسلمين وأهل العلم، لم يقبل لان تحريم الزنا لا يخفى على من هو كذلك فقد علم كذبه .

روى البخارى عن حمزة بن عمرو الاسلمى ان عمر رضى الله عنه بعثه مصدقا فوقع رجل على جارية امرأته ، فأخذ حمزة من الرجل كفلاء ، حتى قدم على عمر فأخبره . وكان عمر قد جلد ذلك الرجل مائة اذ كان بكرا باعترافه على نفسه فأخبره ، فادعى الجهل فى هذه فصدقه وعذره بالجهالة .

وروى عن سعيد بن المسيب ان عاملا لعمر بن الخطاب كتب الى عمر يخبره ان رجلا اعترف عنده بالزنا ، فكتب اليه عمر أن سله هل كان يعلم انه حرام ؟ فان قال : نعم فأقم عليه الحد ، وان قال: لا فاعلمه أنه حرام ، فان عاد فاحدده .

وعن الهيثم بن بدر عن حرقوص قال: أتت امرأة الى على بن ابى طالب فقالت : ان زوجى زنى بجاريتى ، فقال : صدقت هى ومالها لى حل ، فقال له على : اذهب ولا تعد ، كأنه درأ عنه الحد بالجهالة .

ورد فى احكام القرآن لابن العربى : شرط فى السارق ستة معان منها : العقل لان من لا يعقل لا يخاطب عقلا ، والبلوغ لان من لم يبلغ لا يتوجه اليه الخطاب شرعا ، وبلوغ الدعوة لان من كان حديث عهد بالاسلام ولم يثافن « يجالس المسلمين ويلازمهم » حتى يعرف الاحكام وادعى الجل فيما أتى من السرقة والزنا، وظهر صدقه لم تجب عليه عقوبة كالأب فى مال ابنه . **اما من علم تحريم شيء ، وجهل ما يترتب عليه ، لم يفده ذلك كمن علم تحريم الزنا وشرب الخمر وجهل وجوب الحد ، يحد بالاتفاق لانه كان حقه الامتناع .**

وخلاصة القول أن الفقهاء يفرقون بين جهلين :

جهل بالتحريم وجهل بعقوبة التحريم ، فالجهل بالتحريم يعفى من العقاب اذا كان حديث عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين من قبل ، والجهل بالعقوبة ، وذلك بأن يعلم أن الفعل محرم ولكن يجهل عقوبته فلا يعفيه جهله من هذه العقوبة .



ليس للتصوف شكل واحد معروف ليستطيع الانسان أن يعطى فيه رأيه ، ولكن التصوف أشكال متعددة : منها المعروف ، ومنها غير المعروف ، فالمسلم لايقر منها الا الايمان الصالح وذلك باسم الايمان والعمل الصالح لاباسم الصوفية المختلف على معناها والمختلف على تاريخها ، والمسلم المؤمن العامل للصالحات لايرتاح للانتماء لاسم لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله .

واذا كان للمؤمنين العاملين للصالحات من رجال الصوفية دور مذكور في افريقيا فى نشر الدعوة الاسلامية فى مختلف ارجائها فأن ذلك أمر يقدره لهم المسلمون في العالم بأسره ، كما أنهم في الوقت نفسه يعتقدون ان الباطنيات والخرافات والبدع وممالأة الاجنبي والانعزالية والكسل كانت سببا رئيسيا من أسباب تأخرنا في الوقت الحاضر وكل ما نرجوه من المؤمنين العاملين للصالحات أن يسيطروا على هذه الفوضى ، ويجمعوا على نبذ المظاهر غير اللائقة التى ادخلت على اساليب هذه الطرق واجتناب البدع والخرافات المستهجنة التي لا تليق بديننا الحنيف ولا بعقلية العصر الذى نعيش فيه ، وان اختيار رجل عصرى لمشيخة هذه الطرق جميعها فى مصر أرجو ان يكون اختيارا موفقا نرجو من ورائه تنقية هذه الطرق وتصفيتها والعودة بها جميعها الى الطريق السليم والصراط المستقيم *** وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون *** .

ولقد وقع في يدى وانا اكتب هذه الخواطر تحقيقا صحفيا مصورا نشرته مجلة المصور العربية بتاريخ ٦ محرم ١٣٨٥ في العدد ٢١١٧ تحت عنوان « رأى الصوفيين في انفسهم ورأى الدين في الصوفيين» رأيت اثبات بعض ما جاء فيه **لمن لم يطلع على العدد** المذكور وقد جاء بعد المقدمة عن التصوف .

للاستاذ عبد العزيز العلي

ولكن .... هل بقى من التصوف الآن شيء .. غير المواكب وحلقات الذكر والثياب المزركشة والرايات والبيادر الملونة وعشرات الطرق والطوائف والهمهمات الغامضة والحركات الهستيرية والعزلة عن الحياة العامة والغذاء الوهمي للملايين من البسطاء من ابناء شعبنا الذين يتطلعون الى غذاء حقيقي .

ولقد استغل الاستعمار والرجعية هذه الطرق الصوفية فى بلادنا فى بعض الظروف واتخذ منها وسيلة لاستنفاد الطاقات العاطفية لجماهير شعبنا واستغراقهم فيها عن التفكير فى احوال دنياهم وفى البحث عن الفهم الصحيح لدينهم وما هو موقفنا اليوم من هذه الطرق التي تضم الآلاف من ابناء شعبنا وانحرافهم عن المشاركة الفعالة فى حياتنا .

هل يمكن ان تصبح هذه الطرق جميعا طريقا موحدا غير منعزل عن هذه الحياة ، وهل يمكن ان تصبح بحق مدارس للوعى الروحي والعلمي معا . ؟

وعدد الطرق كما صرح به الشيخ محمد محمود علوان هي (٦٣) طريقة كل منها تحمل اسم صاحبها وهى منتشرة فى القاهرة والمدن الاخرى والقرى .

وكتب الشيخ علوان : بعد الثورة وجدنا العون لنعود من جديد الى العمل والنشاط بعد تفكك وذوبان استمر طويلا ، فوضعنا برنامجا ، واتصلنا بالجماهير ، وعقدت الاجتماعات ، وتحدث الخطباء ، وتفتحت القلوب ، وكانت اعيادا ايمانية ووطنية دلت على روح الامة الدينية وتعلقها العظيم بدينها وتقدير الثورة .

ومما كتب كمال سعد : « لماذا لا نلغي كلمة (الصوفية) ونحولها الى كلمة الدينية ، فكلمة الصوفية كما نعرف جاءت من هذا الرداء الصوفى الخشن الذى كان يرتديه المشايخ زهدا فى الدنيا ، وهذا الرداء اصبح مشايخ الطرق يحاربونه بأنفسهم » .

لماذا لا نقبل ذلك وخاصة ان هناك اطباء ومحامين ومهندسين بدأوا يندرجون تحت لواء هذه الطرق بعد ان تغيرت صورتها التخاذلية ، وان هناك

البقية على ص ٦٣



شخصية سلفية من الرعيل الاول من اسلافنا الصالحين ، تملأ النفس اعجابا ، وتفسح الصدور انشراحا ، شغلت فراغا فى كثير من العلوم والوظائف الاسلامية ، واخذت مكانا فى الحديث والفقه والادب والتاريخ ، كما اخذت مكانا فى الوظائف القضائية والسياسية ، وقبل ان نتحدث عن مكان هذه الشخصية فيما شغلت من العلوم والوظائف يحسن بنا أن نتحدث عما رشحها لان تشغل ما شغلت فى توفيق ونجاح .

ان الذى أهل الشعبي لان يحتل مكانا بارزا بين الشخصيات الاسلامية، ويحتل مكانا فى التاريخ الاسلامي هو ما منحه الله من المواهب ، وما اخذ به نفسه من النشاط ، وما رسمه من منهج علمي التزمه مدى حياته ، ذلك الى أنه أنسيء له فى عمره ، فدخل فى عداد المعمرين .

رزق الشعبي حافظة قوية جعلته يحفظ الحديث لأول ما يسمع ، ولا يلجىء المحدث أن يعيد الحديث، ولقوة حافظته استغنى عن الكتابة وكان يقول : ما كتبت سوداء فى بيضاء ولا حدثني رجل بحديث الا حفظته ، ولا حدثني رجل بحديث ، فأحببت أن يعيده ، وضرب به المثل فى الحفظ فقيل : أحفظ من الشعبي .

وكان من نشاطه العلمي أن يسعى الى العلم حيث وجد ، لا يضن بمجهود مهما عظم : ويقول : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمر رأيت أن سفره لم يضع .

وكانت الأمانة العلمية جزءا من منهجه ويقول فى ذلك : اذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم ، فانه علم حسن كما كان من منهجه العلمي أنه يتواضع فى طلب العلم قيل له مرة : ان فلانا عالم ، قال : ما رأيت عليه بهاء العلم ، قيل : وما بهاؤه ، قال :

السكينة ، اذا علّم لا يعنف . واذا علّم لا يأنف . وكان يرى أن أهم وسائل التحصيل العلمي العقل والصلاح ، ويقول : انما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان ، العقل والنسك، فان كان عاقلا ، ولم يكن ناسكا قيل : ان هذا أمر لا يناله الا النساك فلم تطلبه ، وان كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمر لا يطلبه الا العقلاء فلم تطلبه ؟ وكان حريصا على سمعته العلمية فقال : لو أصبت تسعا وتسعين وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة، وتركوا



لفضيلة الشيخ ابو الوفا المراغي

مدير المكتبة الازهرية

التسع والتسعين ، وكان يكره الجدال فى المسائل التي تثير الفرقة بين المسلمين، وتبلبل أفكارهم ، قيل له يوما ، ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين ـ يعني عليا وعثمان ـ فقال انه والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيما لعلي وعثمان رضي الله عنهما ، وغفر لنا ولهما .

بهذه المواهب ، وبهذا النشاط ، وبهذه الرغبة فى تحصيل العلم والاستهانة فى سبيله بكل مجهود ـ كون الشعبي شخصيته العلمية ، وبالتالي شخصيته القضائية والسياسية على ما سنذكر ، والعلم ثلاثة أرباع الشخصية ان لم يكن أكثر من ذلك ، واذ أجملنا الكلام عن تكوين الشعبي العلمي ، فلنتحدث فى تفصيل عن هذه الشخصية من جوانبها المختلفة :

الشعبي المحدث

عاصر الشعبي كثيرا من الصحابة وسمع منهم كما سمع من بعض

الشعبي

التابعين ، وتروى كتب الرجال عنه أنه أخذ من ثمانية وأربعين صحابيا . منهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر ، ومعاوية ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأخذ عن جمع من التابعين . منهم سويد بن غفلة ، وشريح القاضي ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وأخذ عنه خلق كثير ، وكانت له مكانة مرموقة فى الحديث حتى أنه كان يسأل وبعض الصحابة حاضرون . حدث أبو بكر الهذلي قال : قال لي محمد بن سيرين يا أبا بكر اذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فانه كان ليسأل وان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأحياء .

وحدث ابن شبرمة قال : سمعت الشعبي يقول : ما سمعت منذ عشرين سنة رجلا يحدث بحديث الا أنا أعلم به منه . وقال عاصم بن سليمان : ما رأيت أحدا كان أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي . وقد روى له صاحب الحلية جملة من غرائب الحديث ، وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين ، والمتأمل فيما ذكره صاحب التقريب وصاحب الحلية عنه يحس بأن المحدثين كانوا ينظرون الى روايته للحديث بشيء من الحذر ، فقد قال ابن معين : اذا حدث الشعبي عن رجل ، فسماه فهو ثقة يحتج بحديثه . ومن غرائب ما روى عنه ما رواه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليعمر لقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم . وما رواه عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى الضحى ، وصام ثلاثة أيام من الشهر . ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد .

الشعبي الفقيه

اتفق من ترجم للشعبي على أنه كان فقيها : وأنه كان أحد أربعة من فقهاء زمانه تصدروا الفقهاء فى المدن الاسلامية : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والحسن ابن أبي الحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام ، والشعبي بالكوفة ، وشهد له زميله مكحول فقال : ما لقيت مثل الشعبي . وقال يونس بن اسحق : كنت مع الشعبي والناس يسألونه من صلاة العصر الى المغرب ، فقال : لو كنت تلقموني الخبيص لكرهته . (الخبيص طعام من لبن وتمر) .

وقد عرف بالعلم بالفرائض والجراحات ، وسأله الحجاج يوما عن مسألة ، فقال له : ما تقول فى أخت وأم وجد ؟ قلت : اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم . قال : فما قال فيها ابن عباس ان كان لتقيا ؟ قلت : جعل الجد أبا ، وأعطى الأم الثلث ، ولم يعط الأخت شيئا . قال : فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان ؟ قال : جعلها أثلاثا .

قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قلت : جعلها من تسعة ، فأعطى الأم ثلاثا ، وأعطى الجد أربعا ، وأعطى الأخت سهمين . قال : فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ست أعطى الأخت ثلاثا وأعطى الأم سهما وأعطى الجد سهمين . قال فما قال فيها أبو تراب ؟ يعني عليا . قلت : جعلها من ستة ، أعطى الأخت ثلاثا ، وأعطى الجد سهما . وأعطى الأم سهمين . قال : قل للقاضي : فليمضها على ما أمضاها عليه

امير المؤمنين عثمان . ويرى بعض من ترجم له أن ما نقله الشعبي عن علي من الفرائض لم يسمعه كله منه ، وانما استعمل القياس في بعض مسائله . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبيه أنه سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن علي فقال : هذا عندي ما قاسه الشعبي على قول علي وما أرى عليا كان يتفرغ لهذا ، ولكن نرى في ترجمة الشعبي أنه كان يكره القياس ، ولا يعتمد الا النقل والرواية ، فقد روى عنه أنه قال : انما هلكتم بأنكم تركتم الآثار ، وأخذتم بالمقاييس ، ولقد بغض الي هؤلاء المسجد حتى انه لأبغض الي من كناسة داري — يعني أصحاب الرأي — وقال صالح بن مسلم : سألت الشعبي عن مسألة فقال : قال فيها عمر بن الخطاب كذا . وقال علي بن أبي طالب فيها : كذا . فقلت للشعبي ما ترى ؟ قال : ما تصنع برأيي بعد قولهما . اذا أخبرتك برأي فلا تبالي به . وكان يقول : اياكم والقياس في الدين ، فانه من قاس في الدين فقد زاد في الدين .

ومما استدل به على ابطال القياس ما روى الهذلي أنه قال لأصحابه يوما : يا هؤلاء أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس ، وقتل معه صبي أكانت ديتهما سواء ، ام يفضل الأحنف بعقله وحلمه ؟ قلتم بل سواء . قال : فليس القياس بشيء .

ومن فقهه ما رواه عمر بن عبد الله النخعي ارسلني أبي الى الشعبي أسأله عن صحيفة أعرف فيها كتابي ونقش خاتمي أشهد على ما فيها ، قال : لا الا أن تذكره ، ان الناس يكتبون ما شاءوا ، وينقشون ما شاءوا .

وروى الحسن بن عبد الرحمن قال : رأيت الشعبي يسلم على موسى النصراني فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقيل له في ذلك : فقال : أو ليس في رحمة الله ! لو لم يكن في رحمة الله هلك ، وقال : ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجرا من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس .

الشعبي الأديب والشاعر

ذكر كثير ممن ترجم للشعبي أنه كان أديبا شاعرا ، قال ابن حبان : انه كان فقيها شاعرا : وقال الطبري في طبقات الفقهاء : كان ذا أدب وفقه وعلم ، وروى عنه الخطيب البغدادي في تاريخه انه قال : ما أروي شيئا أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شعرا ؟ ولم تذكر كتب التراجم شيئا من شعره ، ولعل الشعبي كان يتحرج من أن يعرف بالشعر مراعاة لتقاليد العلماء في عصره ، وقد روى صاحب الحلية : أنه كان يولع بهذا البيت :

ليست الأحلام في حين الرضا
انما الأحلام في وقت الغضب

وانه كان يقول :

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء

ومر يوما برجل يغتابه فأنشد :

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقد رويت عنه أقوال منثورة تدل على تمكن الملكة الأدبية في ذهنه ، ومما رواه عنه صاحب الحلية : نعم الشيء الغوغاء . يسدون السيل ، ويطفئون الحريق ، ويشغبون على ولاة السوء . وسئل عن السماء فقال : موج مكفوف ، وسقف مسقوف بحرس محفوف : ومن طرائف ما روى عنه مما يدل على سعة أفقه ، وتضلعه من معارف عصره أنه قال : مرض الأسد ، فعاده السباع ما خلا الثعلب ، فقال الذئب : أيها الملك مرضت فعادك السباع الا الثعلب ، قال

الشعبي

الأسد : اذا حضر فأعلمني ، فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء ، فقال له الأسد : يا أبا الحصين عادني السباع كلهم .. فلم لم تعدني . قال الثعلب بلغني مرض الملك ، فكنت في طلب الدواء : قال : فأى شيء أصبت قالوا : خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج . قال : فضرب الأسد بمخالبه الى ساق الذئب ، فانسل الثعلب ، وقعد على الطريق ، فمر به الذئب ، والدماء تسيل عليه ، فناداه الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر : اذا قعدت بعد هذا عند السلطان فانظر ماذا يخرج من رأسك ، وأما هذه فقد خرجت من رجلك .

ويكفي للدلالة على أدب الشعبي شهادة الأخطل له : فقد روى الأصمعي : أن الشعبي اجتمع هو والأخطل عند عبد الملك ، فلما خرجا قال الأخطل للشعبي : ارفق بي فانك تغرف من آنية شتى وأنا أغرف من اناء واحد .

الشعبي المؤرخ

رزق الشعبي حافظة قوية أعانته على أن يكون مؤرخا للسير والمغازى دقيقا فى روايتها حتى كأنه يشاهد ما يروى فى الدقة والصحة : قال عبد الملك بن عمير : مر ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازى فقال : لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها مني . وقال : كأنه كان شاهدا معنا .

الشعبي القاضي

عرف الشعبي بالفقه ، وكان طبيعيا أن تتجه الأنظار اليه ليشغل وظيفة القضاء ، وقد شغل قضاء الكوفة فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وكان يؤثر الأخذ بظواهر الأحوال . روى عنه أنه قال : كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها ، وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا ، فقلت أصلحك الله ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها ، قال لا تفعل فان اخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وكان حريصا على حرمة مجلس القضاء دخل عليه فى مجلس القضاء رجل ومعه امرأته ، وهي من أجمل النساء ، فاختصما اليه ، فأدلت المرأة بحجتها وقربت بينتها ، فقال الشعبي للزوج : هل عندك من مَدْفَع فأنشأ يقول :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف اليها
فتنته بدلال
وبخطي حاجبيها

قال للجلواز قربها : وأحضر شاهديها، فقضى جورا على الخصم ، ولم يقض عليها .

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك ابن مروان فلما نظر الي تبسم وقال :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف اليها

الشعبي السياسي

غريب ألا يشغل الشعبي فقهه وحديثه عن تتبع مجارى السياسة ومناورات السياسيين ، فيكون سياسيا ، بل سياسيا من الطراز الرفيع يتفهم لغة الملوك والساسة ، ويتفطن لمراميهم البعيدة ، وأهدافهم المقنعة بمعسول أقوالهم ، وحادثة واحدة وقعت بينه وبين ملك الروم تكشف لنا عن مقدار ما وصل اليه الشعبي فى فن الدبلوماسية . روى الاصمعى قال : وجه عبد الملك بن مروان عامرا الشعبي الى ملك الروم في بعض الأمر ، فاستكبر الشعبي فقال له : من أهل بيت الملك أنت ؟ قال لا . قال : فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله

رقعة لطيفة وقال : اذا رجعت الى صاحبك ، فأبلغته جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا ، فادفع اليه هذه الرقعة ، فلما صار الشعبي الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ، ونهض من عنده ، فلما خرج ، ذكر الرقعة ، فرجع. فقال : يا أمير المؤمنين انه حملني اليك رقعة أنسيتها حتى خرجت ، وكانت فى آخر ما حملني ، فدفعها اليه ، ونهض ، فقرأها عبد الملك ، فأمر برده فقال : أعلمت ما فى هذه الرقعة ؟ قال : لا قال : فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا ! ! أفتدرى لم كتب اليّ بهذا ؟ فقال : لا . فقال حسدني بك ، فأراد أن يغريني بقتلك . فقال الشعبي : لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني . فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال : لله أبوه والله ما أردت إلا ذاك ! ! .

خلق الشعبي

قبس الشعبي من أضواء من عاشرهم من صحابة رسول الله فى أخلاقه: واقتفى آثارهم ، وتأدب بالأدب النبوى الذى تأدبوا به ،فزكت نفسه،وعفت جوارحه. روى عنه أنه قال : ما حللت حبوتي الى شيء مما ينظر الناس اليه ، ولا ضربت مملوكا لي قط . وما مات ذو قرابة لي وعليه دين الا قضيته عنه .

وكان يخشى الا يؤدى حق العلم ، ويقول : ليتني لم أتعلم قط ، ووددت أن أخرج منه كفافا لا علي ولا لي . وكان ذا تجمل فى هيئته وزيه ، ومما قاله في ذلك : البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبه عليك العلماء ، وكان ذا دعابة ولطف يمزح بما لا ينافى وقارالعلماء، ولا يخدش حياء الصالحين.

دخل عليه رجل ، وكان مع امرأته ، فقال أيكم الشعبي ؟ ! ! فقال : هذه ، وأشار الى امرأته ، وقال له الحجاج كم عطاءك ، فقال : ألفين فقال : ويحك ! ! كم عطاؤك ، فقال : ألفان . قال الحجاج كيف لحنت أولا ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير ، وأعرب أنا ، فاستحسن ذلك منه ، وأجازه ، وسأله رجل : كيف كانت تسمى امرأة ابليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاح لم نشهده .

وكتب عبد الملك الى الحجاج : ابعث الي رجلا يصلح للدين وللدنيا اتخذه سميرا ، فبعث اليه الشعبي .

ولادته ووفاته

ولد الشعبي سنة ٢٠ هـ قال الشعبي ولدت عام جلولاء ، واختلف فى سنة وفاته ، وذكرت فيها أقوال كثيرة ، قيل انها سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة ١٠٤ وقيل سنة ١٢٠ وقيل غير ذلك ، وقد شعر العلماء بالخسارة بوفاته .

روى محمد بن فضل بن عاصم : قال حدثت الحسن بموت الشعبي فقال : رحمه الله ان كان من الاسلام بمكان . وعن سوار عن أبيه قال : لما هلك الشعبي قال : انا لله وانا اليه راجعون ان كان لقديم السن ، كثير العلم : وانه لمن الاسلام بمكان ، ثم أتيت محمد بن سيرين فقلت يا أبا بكر هلك الشعبي فقال مثل ما قال الحسن .

اسمه وكنيته ونسبه

فى ابن خلكان : هو أبو عمرو عامر بن شراحيل من عبد ذى كبار ــ وذو كبار قيل من أقيال اليمن ــ الشعبي وهو من حمير وعداده فى همدان . وشراحيل بفتح الشين المعجمة والراء والحاء المهملة المكسورة ، والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين الى شعب ، بطن من همدان وقيل : الى جبل باليمن .

أبو بكر وعمر

لفضيلة الشيخ عبد الجليل شلبي
عضو المكتب الفني لمجمع البحوث بالأزهر

أكثر ما يتحدث الناس عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون عن هذين الصحابيين العظيمين . وقد ربطت بينهما الأحداث والصحبة فى الحياة ، كما ربطت بينهما الذكرى ونظرات التاريخ بعد الوفاة .

وربما كان الحديث عن عمر أبعد ذيوعا وأكثر ترددا ، وربما حاطت الأحداث سيرته بهالة من البهاء والجلال لم يظفر بمثلها أبو بكر ، ولكن سيرة أبي بكر وعظمته ومناقبه الوضاءة لم تكن تخفى فى غمرة هذا اللألاء ولا تتضاءل أمام هذا الجلال ، وكل ما هناك أن عهد عمر كان أطول زمنا واحفل بالأحداث ، كما كانت الدولة الاسلامية فيه أفسح رقعة وأكثر مشاكل ، ويخيل الي أنه لو امتد عهد أبي بكر الى الزمن الذى انتهى فيه عهد عمر ما تغيرت الأحداث الكبرى فى الدولة الناشئة ولا اختلفت القضايا الكبرى فى الفكر الاسلامي ، وقصارى ما يقال فى الرجلين أنهما صفيا فى مدرسة النبوة ، وصنعا على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يصهر المعدنان النفيسان فى البوتقة فيزول عن كل منهما ما به من أدران وخبث ، ويبقى المعدن النقي الكريم ، ولكن يبقى أيضا لكل معدن خواصه وصفاته .

وقد عاش الرجلان فى ظلال الاسلام من عهده الأول ، وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فجر الدعوة ، وكانا معه دائما عونين وصديقين ومستشارين ، فلما انتقل صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه تردد المسلمون فى اختيار أى أصحابه خليفة ، ولكن استقرت الأنظار منذ اللحظة الأولى عليهما .

قال أبو بكر لعمر ــ امدد يدك أبايعك بالخلافة .

عمر ــ أنت أفضل مني .

أبو بكر ــ أنت أقوى مني .

عمر ــ لك قوتي مع فضلك .

فضل أبي بكر وقوة عمر

وبويع أبو بكر بالخلافة ، فكانت له قوة عمر مع فضله ، ولكن كان له من نفسه قوة أكبر .

ويبدو أن امتياز أبي بكر بالفضل وامتياز عمر بالقوة هو موقف الفصل بينهما في أدق فروقه وأصغر ما يتباينان فيه ، ولهما بعد ذلك صفاتهما المشتركة الكبرى التي تجمعها روح الاسلام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومراقبة الله رب العالمين .

ويصدق هذا ما شبههما به النبي — قال لأبي بكر : مثلك في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برحمة الله وعفوه ، ومثلك في الأنبياء كمثل ابراهيم ، اذ قال لقومه أف لكم ولما تعبدون من دون الله . وكمثل عيسى اذ قال لربه : ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، وقال لعمر : مثلك في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط والنقمة ومثلك في الأنبياء كمثل نوح اذ قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، وكمثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

وهو تشبيه الصادق الأمين فجبريل وميكائيل مهما اختلفا من الملائكة وابراهيم وعيسى ونوح وموسى مهما اختلفوا كلهم أنبياء لا يخلو واحد منهم من فضل وقوة .

وقد غذت مدرسة النبوة كلا من الرجلين بما قربه الى صاحبه ، لأنها قربتهما جميعا من أخلاق النبوة ، ودربتهما على النهوض بعبء الدعوة ، ووضحت لهما معا أقرب السبل وأقومها الى بناء الأمة الاسلامية وحسن المحافظة على الاسلام .

كما اشتهر بين المؤرخين فضل أبي بكر وقوة عمر اشتهر أيضا أن أبا بكر أكثر محافظة وعمر أكثر اجتهادا وأوسع حيلة في التصرف . والأمر كذلك ولكنه لا يطرد دائما في كلا الوجهين اللهم الا ما كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو بكر أكثر طاعة وأقل مناقشة ، بينما كان عمر أكثر مناقشة وجدلا . ولكن نظرة في موقفهما من حروب الردة ويوم عزم أبي بكر على جمع القرآن تظهر أن أبا بكر كان أكثر صلابة وقوة في الأولى كما كان أدنى الى الاجتهاد في الثانية وكان عمر ذا لين ومحافظة .

اسلامهما

كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، بلا تردد ، فلم يكن بينه وبين النبي أو بينه وبين المسلمين أى عداء أو مقاومة ، أما عمر فأسلم بعد نضال ومقاومة لدعوة الاسلام ولمن يعتنق الاسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، الا ما كان من أبي بكر ما عتم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

وقد يفهم من هذا أنه قبل الاسلام من غير نظر عميق وحسن تدبر ، أو أنه اندفاع كانت تنقصه الروية . لكننا اذا لاحظنا أن أبا بكر لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ، وأنه اذ قاده ابوه يوما الى مخدع الأصنام ليسجد لمعبودهم أخذ يسأله . اني جائع فاطعمني ، اني عار فاكسني .. ولم يكن يتوقع اجابة وانما هو اظهار لما في نفسه من استخفاف بهذه الالهة ، .. وأخيرا رمى صنمهم بحجر تلاه لوجهه ومضى ، وهو اذ نفر من هذه الحالة الدينية قابل في الجزيرة وفي الشام بعض التحنفين الذين عرفوا الله ، ونبذوا الوثنية ، وبشروا بنبي من العرب أظل زمانه . فأبو بكر لا يكتفي برفض الوثنية وانما يترقب في نفسه الديانة الصحيحة ، وهو قد عرف محمدا من قبل ، وقدر ما فيه من صدق وأمانة وفضل وأخلاق هي أخلاق النبوة الأولى ، لهذا ولما عرفه من قبل من تبشير ورقة بن نوفل وبحيرى الراهب بنبوته قبل أبو بكر دعوة الاسلام بلا تردد .

ولا نقف طويلا عند هذه المسألة ، ولكننا نجد عمر الذى حارب الاسلام والمسلمين قبل اسلامه يدخل الاسلام فى لحظة سريعة تماما كصاحبه ولمجرد سماعه آيات من القرآن الكريم .

ودخل عمر الاسلام بحمية كالتي كان يحاربه بها ، وأعز الله به الاسلام والمسلمين ، لكننا نجد لاسلام أبي بكر أثرا لا يقل عن هذا الأثر ، ولا يتضاءل بجانب أثر عمر ، والفارق بين الأثرين هو الفارق بين طبيعة الرجلين .

عمر يجهر باسلامه فراح يذيعه ويخبر به أشد الأعداء خصومة ولددا . بكر يدق باب أبى جهل ليخبره فى تحد أنه دخل الاسلام ، وغاظ ذلك أبا جهل حتى ضرب بابه فى وجه عمر . كذلك ذهب يخبر جميل بن معمر الثقفي لما يعرف من حبه اشاعة الأنباء وبث الحديث — وأثار جميل عليه عامة قريش فقاوموه وقاتلوه وهو يقول . افعلوا ما تريدون فوالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا ، وهو الذى جعل المسلمين يجهرون بالآذان، ويخرجون الى الحرم للصلاة — فلما استجاب له الرسول خرج بين صفين : فى أحدهما عمر ، وفى الآخر حمزة ، ولهما كديد ككديد الطحين ، فدخلوا المسجد ، وقريش تعلوها كآبة ، ولا يجرؤ أن يقربهم عاقل ولا سفيه .

ولسنا بحاجة الى بيان ما لهذا من أثر فى الاقبال على الاسلام .

وقد ناصبت قريش عمر العداء ، وصممت يوما على قتله ، وبات الوادى من حول بيته يسيل بالأعداء ، وبات عمر نفسه خائفا يترقب حتى أجاره العاص ابن وائل ، فزاده هذا الجوار جراة .

أما أبو بكر فلم يصحب اسلامه كل هذه الجلبة ، ولكن كان من مبادرته لقبول الاسلام واصراره على القيام بشعائره جهرا أيضا ودعائه اليه ذوى الوجاهة والظهور من قريش أثر ايجابي ، له أثره العظيم فى الاقبال على الاسلام .

دعا أبو بكر عددا ممن كان لهم أثر أىأثر فى الفتح الاسلامي والفكرالاسلامي جميعا . دخل الاسلام بدعوته عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، وأقنع بدعوته أباه وأمه ، فحول البيت كله الى بيت اسلامي . كذلك ألح وأكثر من الالحاح على النبي أن يظهر بالمسلمين فى نواحي المسجد وأن يجهر بخطبته بين المسلمين لتسمعها قريش ، وكان المسلمون يومئذ قلة دون الأربعين . وعادت قريش أبا بكر وآذته ايذاء أشفى به على الموت ، وهم بالهجرة . فلما أبعد عن مكة قليلا رده ابن الدغنة ، وأجاره من قريش على نحو ما فعل العاص بعمر ، وقد كان لأبي بكر مسجد أمام بيته وكان اذا صلى فيه ورتل القرآن بكى ، فيجتمع عليه الناس حتى شكت قريش الى ابن الدغنة ، فقال لأبي بكر لم أجرك لتؤذى قومك . فرد أبو بكر عليه جواره وقال حسبي جوار الله .

وموقف أبى بكر يوم الاسراء لا ينسى أثره فى اعادة المرتدين الى الاسلام وقطع السنة الساخرين ، لقد لفت الناس الى ناحية الاعجاز الالهي وقوة السماء ، قال انا نصدقه فى الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ، فهذا أعجب مما تعجبون منه . . والذين كذبوا الخبر ، واستبعدوا وقوع الحادث نظروا اليه من الناحية المادية ، وقاسوه بطاقة البشر ، ولو التفتوا الى ما فيه من معجزة ومدد الهي ما كذبوه .

ففضل أبي بكر دعا الى الاسلام ما دعت اليه قوة عمر .

موقفهما يوم وفاة الرسول

ونذكر فى جانب القوة والفضل جميعا موقفهما يوم مات الرسول عليه الصلاة والسلام . كان عمر هو الذى سبق الى بيته وكشف عن وجهه ، فذهبت الصدمة بلبه حتى ظنها غيبوبة أو غيبة سيعود منها . وخرج الى المسجد يخطب الناس « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى الى ربه ... ثم رجع اليهم بعد أن قيل قد مات .. والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى .. الخ .

وعجز المغيرة بن شعبة أن يقنعه أو يهدئه ، فوقف يعلن ما يعلن فى الناس وهم من حوله ذاهلون .

وجاء ابو بكر ، فدخل على النبي ايضا ، فلما كشف عن وجهه ، وأيقن موته قال : طبت حيا وطبت ميتا .. بأبى أنت وأمي ... الخ . وخرج الى المسجد والناس حول عمر فناداه . على رسلك يا عمر أنصت .. ولم ينصت عمر ، ولكن الناس انصرفوا الى ابى بكر ، فخطب فيهم خطبته المشهورة ... من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .. وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

وبهذا فاء عمر الى رشده ، وقال : كأني لم أسمع هذه الآية من قبل .

لم يكن أبو بكر اذن ضعيفا ولم يكن عمر ناقص الفضل .

ومن الممكن أن نقول ان أبا بكر كان فى هدوئه أحكم وأعمق ، وان عمر كان انشط وأمضى . وهو تمييز تقريبي ولا ريب لأنه لا تنقص عمر الحكمة ولا ينقص صاحبه النشاط .

والفرق بين الرجلين هو الفرق بين طبيعتين قبل كل شيء ، ولكن نضيف لذلك أن ابا بكر عرف محمدا صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ، وربط بينهما من الصلات ما لم يكن لعمر ، وأحبه أبو بكر أيضاوأعجب بصفاته وأخلاقه ، فلما آمن برسالته أحبها أيضا ، وأعجب بها ، وكان نتيجة ذلك الحب وذلك الاعجاب بالرسالة والرسول أن استسلم لتعاليم النبي استسلاما ملك عليه كل جوارحه ، فلم يناقش النبي فى مسألة أو يحاجه فى شأن عمل ، وانما أصبح جنديا للهولدين الله وطوع اوامر الرسول ، يؤمر فيطيع ، ولا شيء وراء هذا .

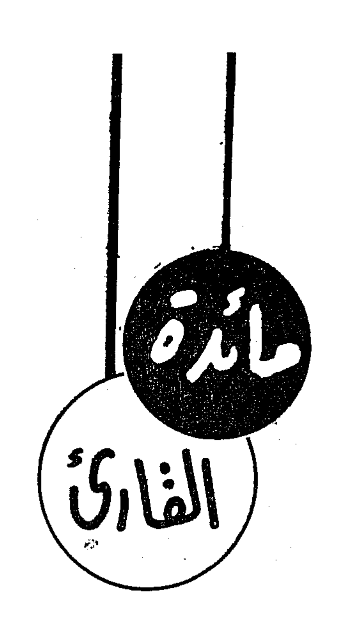
أما عمر فقد تأخر اسلامه ريثما يقتنع ولم يكن فى جاهليته نافرا من عبادة الجاهليين وعاداتهم . وانما كان لها فى قلبه نصيب فلم يتركها الا بعد بحث الاسلام والاقتناع به . فهو لهذا ولطبيعته أيضا يسأل ، ويجادل حتى يقتنع ، وقد يقترح على الرسول وكثيرا ما أيد الوحي اقتراحه ، وكثيرا ما اقتنع بخطته فى الاقتراح وفى الجدال .

ويفسر طبيعة الرجلين موقفهما من صلح الحديبية ، فقد ظنه الصحابة مجحفا بالمسلمين ، وغضب له عمر وغير عمر ، وقبله أبو بكر راضيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه . وفى حدة الجدال بينهما لا يزيد أبو بكر على أن يقول لعمر الزم غرزك فاني أشهد أنه رسول الله .

واذن فرسول الله فى نظره اكبر من أن يحاج ويعارض ، ولذلك لم يحاجه من قبل أو يعارضه كما كان يفعل عمر .

وتمضي الأيام بالرجلين فاذا أبو بكر خليفة بعد رسول الله ، واذا الرجل اللين

البقية على ص ٦٢



على مائدة الخمر

رفع قوم شربوا الخمر الى عمر بن عبد العزيز ، فأمر بجلدهم ، فقيل له ان فيهم فلانا وقد كان صائما ، فقال ابدأوا به ، أما سمعتم قول الله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) .

أربعة ضائعة

سراج فى الشمس ، ومطر فى سبخة ، وحسناء عند عنين ،وطعام عند سكران .

الى الميدان ...

قالت أمية بنت قيس الغفارية : اتيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى نسوة من غفار ، فقلنا : يارسول الله قد أردنا الخروج معك الى وجهك هذا — وكان يسير الى خيبر — فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله .

مثالية

روى أن عبد الحميد لقي ابن المقفع فقال له : بلغني عنك شيء أكرهه ، فقال : لا أبالي ، قال : ولم ؟ قال : لأنه ان كان كان باطلا لم تقبله ، وان كان حقا عفوت عنه .

الصغيرة والكبيرة

ذكر ابن عباس فى تفسير قول الله عز وجل : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك .

لا تحتاج الى تأويل

سئل الجاحظ : ما تأويل هذه الآية « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » ؟ فقال : تأويلها تلاوتها .

ضمان

استقرض الاصمعي صديق له ، فقال : حبا وكرامة ، ولكن سكن قلبي برهن يساوى ضعف ما تطلبه ، فقال : يا أبا سعيد أما تثق بي ؟ قال : بلى وان خليل الله كان واثقا بربه ، وقد قال له : ولكن ليطمئن قلبي .

سائل لبق

وقف اعرابي على حلقة الحسن البصرى ، فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسي من كفاف ، أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابي احدا منكم حتى طالبه بالصدقة .

صلح ... وسلح

قال بعض الادباء فى مجلس الوزير ابي الحسن بن الفرات : تقام السين مقام الصاد فى كل موضع ، فقال الوزير أتقول : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم » . ام سلح ، فخجل الرجل وانقطع عن مجلسه .

رد مفحم

قال يهودى لعلى – كرم الله وجهه – مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم ؟ فقال علي : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم : يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ؟

بين عجوز وزوجها

قالت عجوز لزوجها : أما تستحي ان تفعل ما يوجب رجمك ، ولك حلال طيب قال : أما حلال فنعم،وأما طيب فلا .

أثكلتها القافية

ام البنين ابنة عامر بن عمر وزوج مالك بن جعفر ، وأبناؤها : ملاعب الاسنة ، وطفيل الخيل ، وربيع المقترين، ونزال المضيف ومعوذ الحكماء ، وقد ورد فيها قول لبيد :

نحن أم البنين الاربعة

وقد أثكلتها القافية ولدا ، والا فهم خمسة .

سؤال وجواب

قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به ، قال : فان عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به قال : فان عدمه؟ قال : مال يستره . قال : فان عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه وتريح العباد منه .

تربية عربية

كانت ام الفضل بنت الحارث تقول وهي ترقص ابنها عبد الله ابن عباس :

ثكلت نفسي وثكلت بكرى

ان لم يسد فهرا وغير فهر

بالحب الوافي وبذل الوفر

بقية فى مدرسة النبوة

الهادىء أشد ما يكون صلابة فى اقامة الدين والمحافظة على سنة الرسول حتى ليبدو عمر القوى الشديد أقل منه صلابة وأقرب الى اللين .

لم ير عمر أن يخوض المسلمون حروب الردة فأجابه أبو بكر أن ماذا يا عمر ؟ أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله لحاربتهم عليه . ومع ما فى هذه العبارة من روح المحافظة فان أبا بكر لم ينقصه التطور . بل كان أسبق اليه من عمر .

وأصبح عمر خليفة أيضا .

واذا الصارم العنيف يهدأ ويلين ، ويرفق حتى لتراجعه امرأة من رعيته فيقبل مراجعتها ، ولا شك أن رصيده من التجارب الطويلة ألان من حدته ، وكفكف من غرب اندفاعه ، وأقنعته الحوادث بقصر نظره بجانب الرسول فى حوادث شتى منها صلح الحديبية الذى تبين فيما بعد أنه كان برا وبركة على المسلمين حتى طلبت قريش أن تتنازل عما طلبته لنفسها فى هذا الصلح من شروط .

ومنها موقفه من الصلاة على عبد الله ابن أبي .

وقد كان عبد الله من أشد أعداء المسلمين لددا ، وهو الذى مشى بقالة السوء بين الناس وكادت دعوته تحدث فرقة بين المهاجرين والأنصار ، واقترح عمر يومئذ قتله ، وأراد ابنه أن يقتله ان اراد النبي ذلك ، ولكن النبي قال انا لا نقتله بل نرفق به ، ونحسن اليه ما دام فينا ، فلما مرض طلب قميص النبي ، ليستشفى به فوجهه اليه ، فلما مات قام يصلي عليه ، فوقف عمر فى صدره يصده وهو عليه السلام يبتسم ، ويقول أخر عني يا عمر .

وصدقت فراسة الرسول ، اذ أسلم ألف من أتباعه اذ رأوه يستشفى ببردة الرسول .

وشبيه بهذا موقفه من سهيل ابن عمرو .

كان خطيبا مفوها اعتاد أن يشن بخطبه حروبا على المسلمين ، وأسر يوم بدر ، فاقترح عمر أن تخلع ثنيتاه السفليان ، وكان أفلج واذن فلن يستطيع الكلام فضلا عن الخطابة .

ورفض النبي هذه العقوبة قائلا لعمر عسى أن تراه فى موقف لا نذمه فيه . ورآه عمر فى حرب الردة يخطب ضد المرتدين بما هو أقوى من السيف ، فتذكر موقفه وكلمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وخالف عمر أبا بكر فى توزيع الفيء ، فلم يسو بين الناس وانما قسم بحسب منازلهم ، لكنه ما لبث أن رجع عن طريقته ، وأعلن أنه سيقسم حسب الرءوس لا حسب البيوت . لان عمر لرعيته ولكنه اشتد على نفسه وعلى ولاته ، حاسب نفسه أعنف حساب ، وجار عليها ، وحاسب ولاته ، ولم يجر عليهم ، ورفق برعيته رفقا عظيما الا أن يخرجوا عن حدود الله .

مهما يكن من شيء فهذان الرجلان من أعدل ما شهد التاريخ ، وأنقى ما شهد التاريخ ، وأنفع ما شهد التاريخ للمبادىء العليا ولاسعاد الأمة وبناء الدولة ، ولا عجب فهما أيضا من أنبغ وأوعى ما أنجبت مدرسة النبوة .

بقية التصوف

بعض الدجالين الذين يندسون بين صفوف مشايخ الطرق بملابسهم القذرة المهلهلة التي يظنون انها دليل على تصوفهم ، هؤلاء استطاعوا ان يسيئوا الى الصوفية لفترة طويلة وساعد على انتشار هذه الصورة المشوهة عن الصوفية فى اذهان الناس ما سمعناه من قصص تاريخية عن بعض المارقين والمنبوذين الذين كانوا يتظاهرون بالدين فى سبيل الحصول على المناصب والامتيازات .

ومما قالوه : يكفى ان لدينا ٦٣ شيخ طريقة يتبعهم خمسة ملايين داخل جمهوريتنا ، وعشرة ملايين فى البلاد الاسلامية الاخرى وهؤلاء جميعهم يربطهم تاريخ قديم فالجنس البشرى عرف التصوف قبل الاديان السماوية وعرفه من الاغريق ثم من الهنود ، وجاءت بعد ذلك الاديان لتهذيب فكرته ، ولتضع اهدافه الجديدة فى خدمة رسالتها وحملها الى كل العباد ، ولم يعرف المسلمون حكمة التصوف الا عندما ترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية فىعصر العباسيين وعندماوصلت هذه الدعوة الى مصر التي تدعو الى الاتصال بالله عن طريق الزهد والمعرفة .

ونحن بدورنا نسأل علماء الجيل ولجان الفتوى فى العالم الاسلامي : هل كانت مهمة الرسل الربانية تجديد الصوفية اليونانية والهندية وحملها الى كل العباد ؟ ..

ثم ختمت المجلة التحقيق بما اجاب فضيلة الشيخ احمد الشرباصي وهو :

توجد دراسات كثيرة حول التصوف ونشأته ولكن من المؤكد ان التصوف بطرقه المعروفة وصوره الشائعة بين الناس لم يكن معروفا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فى عهد خلفائه الراشدين ولا من قرب منهم فى العهد والتاريخ واذا كان هناك خلاففيموضوع التصوف وحتى فى نشأته واسمه فان الغالب على الظن هو ان الاتجاه الصوفي قد شاع فى المجتمع الاسلامي بسبب ضعف الاقبال على الدين .

فرأى الدعاة والزهاد ان يقوموا بحركة مضادة لهذا الشغف بالدنيا ومتاعها ، ويبدو ان بعض الذين انتسبوا الى هذا الاتجاه اسرفوا فيه قليلا او كثيرا ، فخرجوا به عن سواء السبيل ، ثم تعقدت الامور بعد ذلك ، وظهرت العناية بالاشكالوالصور اكثر منالعناية بالمبادىء والقيم ، وفى ظل هذا الانحراف تكاثرت الطرق الصوفية ما بين مستقيم ومعوج وبعيد عن روح الاسلام ، **ومع هذا نستطيع اذا تذكرنا الهدفالاساسي لاعلام الصوفية الذين احسنوا الجمع بين احكام الشريعة ومبادىء التصوف ، وعنوا بتطهير النفس البشرية من أدرانها وشهواتها ان نقول ان الهدف الاسمى للتصوف هو تحقيق صفة الاحسان التي يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ((الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)) ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة سيطرت عليه روح المراقبة فلم يرتكب فى الانفراد والاجتماع بالناس ما يسيء الى دينه او يغضب خالقه ولكن السؤال الذى يحتاج الى جواب هو ما مدى قرب او بعد الطرق الصوفية القائمة بأشكالها وصورها من هذا الاحسان الذى اشار اليه رسولنا الكريم ؟ ..**

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام



للدكتور :
محمد كامل الفقي
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر

العرب منذ فجر التاريخ أمة تجارية ، قامت علاقة التجارة بينها وبين فارس والروم ومصر والحبشة وغيرها .

وبلاد العرب لم تكن سواء فى الجدب والنماء ، فجل اليمن زرع وثمر ، على غير ما نجده فى نجد ، وبعض الحجاز واد غير ذى زرع ، وبعضه ذو خصب يزرع .

يقول الألوسي : (وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر ، فكانت تجاراتهم كثيرة ، ومعايشهم وافرة ، لما فى بلادهم من الخصب والرخاء ، والذخائر المتنوعة ، والمعادن الجيدة ، وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى ، وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم فى الثروة والتجارة . لأن الغالب على ارضهم الرمال ، فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب فى رفاهية العيش ورواج التجارة) .

فللعرب شأن اى شأن فى التجارة ، وقيام المعاملة بينهم وبين غيرهم من الدول المحيطة بهم ، وبينهم وبين أنفسهم .

وقد كان الانباط يختلفون بين بلاد الشام والحجاز والعراق فى الجاهلية ، أما الحجازيون فقد كانت التجارة من أهم مرافق الحياة عندهم ، حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة ، وصيت بعيد ... ويمكن أن يقال ان تجارة التمر والشعير والقمح كانت خاصة بهم فى شمال الحجاز (١) .

ولأمر ما حفل القرآن الكريم بذكر التجارة ، وأدارها فى غير موضع منه ، وترددت عبارات : التجارة والبيع والشراء والكسب والقرض والربا فى جوانب عدة من سورة البقرة . يقول الله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٢) . « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياى فاتقون » (٣) . « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » (٤) . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (٥) . « ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » (٦)

« ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ،

---

(١) ص ٢٢ من أسواق العرب لسعيد الأفغاني نقلا عن تاريخ اليهود فى بلاد العرب .
(٢) الآية ١٦ (٣) الآية ٤١ (٤) الآية ٧٩ (٥) الآية ٨٦ (٦) الآية ١٠٢

ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار »(١) « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » . « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » (٢)

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلة ، ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » (٣) « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض » (٤) . « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ، فله ما سلف ، وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات » (٥) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ... الى قوله : « وان كان ذو عسرة » .... الآية . « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الآية ... » (٦) .

وفى لغة العرب وفى أشعارهم وأمثالهم فيض من الألفاظ الدالة على المال والربح والقرض ، سواء استعملت فى معانيها الوضعية ، أم أريد فيها التجوز ، وفى هذا كله ما يدل على شغف العرب بالتجارة ، وشدة احتفالهم بها ، وتعويلهم عليها ، وأنها أهم مصادر حياتهم .

كان ذلك شأن التجارة فى الجاهلية ، فتون بها ، وتوفر عليها ، فلما أشرقت شمس الاسلام لم تفتر سوقها ، فهي عمل وكفاح ، والاسلام دين العمل والكفاح ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبل الرسالة بحظ منها ، فكان أروع الأمثال فى الأمانة ، وقد رأينا الاسلام ينظم شؤون التجارة ، ويبين حلالها وحرامها ، ويضع لها دستورا يكفل حق المعاملات كافة ..

الاسلام ينظم شئون التجارة

وهنا التفاتة الى امرين كلاهما يفصح أشد افصاح عن تداول التجارة بين العرب، واستغراقهم فيها .. فالله سبحانه وتعالي يقول : « قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . (٧)

وهذا القول الكريم انما يبين مدى حبهم للتجارة وغلوائهم فيها .

وهو سبحانه يقول كذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع .. » (٨) . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » وقد قال الزمخشرى فى تفسير الآيتين . ان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم ، وينصبّون الى المصر من كل أوب وقت هبوطهم واجتماعهم .. وعند اغتصاص الاسواق بهم ، اذا انتفخ النهار ، وتعالى الضحى ، ودنا وقت الظهيرة، حينئذ تنشط التجارة ، ويتكاثر الشراء ، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد ، قيل لهم بادروا الى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا الى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأربح ..

هذا ولا يظن ظان أن النهي عن البيع فى هذا الوقت من يوم الجمعة يراد به ما بعد نزول الآية فحسب ، انما هي لشره التجارة وحدتها قبل النزول ، فهي تروض المؤمنين من قبل ومن بعد ، على ايثار الصلاة على البيع والشراء ، وآثارها المادية .

وقد تطلع التجار الى الوحي أن يبين لهم أثمان السلع ، فيشتروها اذا انحط الثمن ، ويبيعوها اذا ارتفع وعلا ، ليزيد ذلك فى اموالهم حتى نزل قوله تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب

---

١ – الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ — ٢ – الآيتان ٢٠٧ و ٢٤٥ . — ٣ – الآية ٢٥٤
٤ – الآية ٢٦٧ — ٥ – الآيتان ٢٧٥ و ٢٧٦ — ٦ – الآيات ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢
٧ – الآية ٢٤ من سورة التوبة — ٨ – الآية ٩ و ١٠ من سورة الجمعة

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) . (١)

هذه الديباجة تكشف عن ولوع العرب بالتجارة فى جاهليتهم واسلامهم . وعن نشاطهم فى عرض سلعهم ، وهي تتأدى بنا الى القول بضرورة اقامة الاسواق فى أهم مدن الجزيرة ، وفي أعظم مواسمها ، تفدو القوافل اليها من مختلف الجهات، وتعرض ما حملته من شتى السلع ، يتلقاها الطالبون فى رغبة وانتظار ، وقد كانت هذه الاسواق تمشي على نسق دقيق ، ونظام تجارى محكم ، وتؤدى الى الغاية التي يؤديها العمل الذى تهيمن عليه الحكومة ، ويخضع لسلطانها .

ولو أن هذه الاسواق ظلت تحمل الطابع التجارى وحده ، ولم يكن هم روادها الا البيع والشراء ، والكسب والمغانم ، لما حمل التاريخ كثيرا من خيرها ، وما نقلت الآثار الا النزر اليسير من أحوالها وأمورها ، ولما كان لها بحياتنا الادبية صلة ، ولما اهتم دارسو الادب الجاهلي والاسلامى بدرسها والبحث والتنقيب فى آثارها ، ولما شفت عن صور ناطقة من حياتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها .

لكنها صارت فيما بعد كما سنبينه بالتفصيل — مواسم اجتماعية ، ومؤتمرات أدبية نابضة بالحس والحياة ، وكانت نبعا لدواوين ادب وشعر ، نجد فى درسه ومتابعته متعة للنفس والروح ، ثم هى بهذه المثابة كفلت تراثا مجيدا للعروبة وآدابها ورواياتها ما كنا نغنمه لو لم تكن هذه الاسواق التي تشغل العام كله ، وتنتقل فى خلاله من مكان الى مكان ..

تأمين أسواق العرب التجارية

كان للعرب اشهر حرم تضع فيها سلاحها ، حتى يلقى الرجل قاتل أبيه ، فلا يتعرض له بأذى ، وهذه الاشهر هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، وأطلقت العرب اسم حروب الفجار على حروب قريش وهوازن فى عكاظ ، لفجورهم باقتتالهم فى الشهر الحرام ، وسموا رجبا بالاصم لانه كان لا ينادى فيه (يا صباحاه) ولا (يا لفلان) فيقطع فيه صوت الاسلحة ، وفى هذا المعنى يقول الطبرى : وتسمى مضر الشهر الحرام بالاصم لسكون اصوات السلاح فيه (٢) .

وحين أوفد النبي صلى الله عليه وسلم سرية عبد الله بن جحش تترقب عير قريش وتعود بخبرهم ، فقتلت السرية عمرو بن الحضرمي فى نخلة بين مكة والطائف ، وحضرت السرية بالعير وبالاسيرين الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غضبب النبي (صلى الله عليه وسلم) من اقدام السرية على القتل فى رجب ، وأبى أخذ الخمس من الغنائم ، وراح من بالمدينة يدافع عن عبد الله وصحبه بقولهم : ان قتل الحضرمي كان أول شعبان، ثم تشدق أعداء الاسلام من قريش بهذا الحادث وراحوا يشيعون بين الناس ان محمدا وصحبه انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، وأخذوا الاموال وأسروا الرجال ، وأهاجوا بذلك العرب على النبي، ومن معه حتى نزل قوله تعالى : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) . الآية (٣) .

ولشدة تعظيم العرب لرجب قيل له رجب مضر ، ولم يكن يستحله « الاحيان » : خثعم وطيء (٤) .

اقام العرب أغلب أسواقهم فى الاشهر الحرم ، لتقوم تجارتهم فى حمى الامن ، وفى ظل الاستقرار، وليكونوا بأموالهم فى منجاة من الفتن وأهوالها ، والحرب ووبالها ، وذلك هو الذى كفل لقريش التي تسكن الحرم ان تكون لها الزعامة فى التجارة.

---

(١) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) جـ ٢ : ٢٠١ — يقول المرزوقي . وكانت العرب تعظم رجبا وتسميه منصل الأسنة ومنصل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة من الرماح والحراب توطينا للنفس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبهم جـ ١ ص ٨٩

(٣) الآية ٢١٧ من سورة البقرة . (٤) الأزمنة والأمكنة ١ : ٩٠ .

فى رجب كانت تقوم سوق حباشة وصحار ، وفى ذى القعدة كانت تقوم سوق حضرموت ، وفى ذى القعدة وذى الحجة كانت تقوم عكاظ وذو المجاز .

لكن قيام الاسواق لم يطرد فى الاشهر الحرم ، ولم تنتظم جميعها فى خلال حرماته ، يقول المرزوقي: (قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى فى اسناد ذكره : ان اسواق العرب الكبيرة كانت فى الجاهلية ثلاث عشرة سوقا ، فأولها قياما سوق دومة الجندل ، وهي على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة وعلى عشر مراحل من الكوفة وعلى عشر مراحل من دمشق ، ثم صحار . ثم دبا ثم الشحر ، ثم رابية حضرموت ، ثم ذو المجاز، ثم نطاة خيبر ، ثم المشقر ثم حجر باليمامة ، ثم منى ، ثم عكاظ ثم عدن ، ثم صنعاء ، وكانت هذه الاسواق منها ما يقوم فى الاشهر الحرم ، ولا يقوم فى غيرها ، ومنها ما لا يقوم فى الاشهر الحرم ، ويقوم فى غيرها ، لكن أحدا لا يصل اليها الا بخفير ، ولا يرجع الا بخفير (١) .

فالعرب لم يكونوا في شتى أسواقهم ،ومختلف احيانهم يوقرون حرمة هذا الشهر ، وقد كان مما يحط من شأن القبيلة ، ويزرى بها بين أقرانها أن تهتك قدسيته ، وتحمل فيه سلاحها . يقول ابن هشام : أتى آت قريشا فقال : ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ (٢) وقد قال ذلك استعظاما لهذه القتلة ، واستنكارا لذلك الاثم ..

وكما حرم العرب على أنفسهم أن يقتلوا فى هذه الاسواق ، اذ كانت تقع فى الاشهر الحرم ، كان الاغريق يحرمون على انفسهم ان يقتتلوا فى مجامعهم التي سبقوا العرب اليها ، باحتشادهم فى (الجمناسيوم) للالعاب البدنية التي كانوا يقيمونها كل اربع سنين كلما حجوا هيكل المشترى فى اولمبية ، فلما استوثق لهم الامر ، وتأيد الملك كانت عاقبة أمر هذه المجامع ان اصبحت اندية لانشاد اشعارهم ، وعرض افكارهم ، ومن اثر ذلك كان اطلاق لفظ الجمناسيوم اليوم على دور التعليم فى اوروبا وعلى الاخص فى ألمانيا (٣) .

أسواق التجارة مؤتمرات أدبية

وبصدد مشابهة اسواق العرب للاندية الرياضية يقول سيديو : (أنشأ العرب اسواقا عامة يتعارفون فيها ، فلم تكن هذه الاسواق فى عكاظ ومجنة وذى المجاز سوى مؤتمرات للشعر فى الحقيقة خالية من التحكم على النفوس .

ولا شيء اروع من تلك الاسواق على ما كان يسودها من البساطة ، فقد كانت تشابه الالعاب الاولومبية ، فكان ينهض مقاتل شجاع متزن الخطا أمام الجمهور ، صامت جامع لحواسه ، لم يكن عليه من الزينة ما يشير الى أنه من طبقة عالية ، فكانت الابصار تشخص اليه ، فينشد بصوته الرخيم من فوق مرتقى قصيدة بأسرها ، فتراه يترنم بأعماله السامية ، وشرف عشيرته أحيانا، وتراه يمدح القوة والشجاعة احيانا ، وتراه يصور عجائب الطبيعة وعزلة الصحراء والمناهل المنتفاة ، ويصف الغزال أحيانا ، وذلك على حين يسير الجمهور مع المشاعر التي يود الشاعر أن يومىء بها اليه ، فيشاهد على وجهه المتنبه ، علائم الاعجاب بالبطل الصابر فى الضراء ، كما تشاهد علائم احتقار الجبان النذل ، وما كان المستمعون يخفون عواطفهم ، والشاعر كلما توسم اعتراف الجمهور بقدرته ، عاد الى نشيده بحماسة جديدة .

(يتبع)

---

١ ـ الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١ — ٢ ـ سيرة ابن هشام طبعة أوربا ١١٨
٣ ـ هامش تاريخ الادب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ١٥ .

ردٌّ فِـــرْيَــــة

محمد مرتضى

ليس الإسلام شهوانياً ولا يناهض العقل

لفضيلة الشيخ عبد العزيز خياط
عميد كلية الشريعة
عمـــان

دعني اسكب نفسي فى ذوب من العطر : فقد سـئمت روائح العفــن !

دعني ابدد من حواليَّ أنفاس السموم تلقي بها ريح الشبهات، فقد اشتقت الى أريج الزهر تلقي بها رياح الجنان !

دعني انقط من ذوب العطر على يديك ، والقي من أرجه أمـام أنفاسـك !

وأى عطر هذا غير عطر الاسلام ؟

وأى اسـلام !

اسلام غلَّف حقه أباطيل الشبهات ، ودسائس الحانقين فمنعوا العطر أن يفوح ، والأريج ان يعبق !

كان هذا (الاسلام) الدين القيـم ، واضح المعالـم ، بيّن الآيات ، ظاهـر الحجة ، يوم فقهه محمد صلى الله عليه وسلم وحمله أصحابه فى عهده وبعد مماته ، فنشروه فى الآفاق ، وهدوا بـه الضالين ، وأناروا به السبل ، فاقبـل عليه الناس من كل جانب ، وتدارسوه فى كل قبيل، وتعلم لغته أهل كل لسان ، حتى انتشرت اللغة بانتشار الدين فى كل صقع ، وأصبحت اللغة العربية أوسـع اللغات انتشارا ، واصبح الاسلام ديـن الأكثرية ، قمع الله به حجة المجـوس وباطـل الهندوس ، وأزال بـه لجلجة المجادلين ، وتجادل أهل الدين وادال به دولة الفرس ، وخضد به شوكةالرومان، وأصبح للمسلمين الشوكة والسلطان ، والظهور والقوة ، وقد كانوا أمة أميـة متفرقة ضائعة ، لا يجمعها كيـان ، ولا توحدها دولة ، ولا ينتشر لها عرفان ..

فكان عطر الاسلام ، هو الطيب الذى يسيطر على أجواء الـكون دهورا بلغت عدتها اكثر من الف وثلاثمائة عام ..

الدس على الاسلام

وعلى الرغم من أولئك الذين هالتهم قوة الاسلام فى دولته ، وروعته فى حكمه، ونصاعته فى أحكامه ، وتفاعله مع أتباعه،

فأخذوا يدسون فى الدين ما ليس منه ، بطريقة خفية خبيثة كالذى فعله كعب الأحبار فى الاسرائيليات ، وابن سبأ فى السياسيات والعقائد ، والوضاعون فى الأحاديث ، والزنادقة فى الأدب ، والمنافقون فى أحاديث النسب والمدح ، والمتصوفة فى الحلول ووحدة الوجود ، على الرغم مما فعله هؤلاء فقد ظل فى المسلمين من يقرع الحجة بالحجة ، ويزيل الباطل ببرهان الصدق ، حتى ضعف أمر المسلمين وهانت قوتهم ، وابتعدوا عن ينابيع الاسلام فى تفكيرهم وأحكامهم، فبدأ الغربيون من المستشرقين وأشباههم يدسون على الاسلام ويكيدون له بطرق متعددة ، وأفكار متجددة ، ادخلوها الى الاسلام فى دولة المسلمين ، وأزيل حكم الاسلام عن بلاد المسلمين ، وتوزعها الغرب اسلابا ممزقة الأوصال ، وقسمها الى عالم اسلامي ، وعالم عربي، ثم قسم العالم الاسلامي الى دول متفرقة ، وجزأ العالم العربي الى اشلاء ممزقة استعمرها ــ وما زال يسيطر على قسم منها ــ ثم لما استقل عنه بعضها كان قد افلح فى ابعاد الاسلام عن دساتيرها وقوانينها ..

وقد وردني منذ أيام كتاب من مستفسر هاله ان يسمع من صديق له أن الاسلام شهواني وأن محمدا عليه السلام قد سن للمسلمين تلك السنة بتعدد زوجاته فتذكرت ان المستشرقين منصفين ومغرضين قد تعرضوا لكثير من المسلمين بأمثال هذه الشبهات فما كان ولزود وزى وجولد تسهير وكارليل وجيلمان ودرمنغهم وغريم ونولدكة ومرجليوث وماكس مايرهوف وبرتلمي سانت هيليار وهوار ومونته وريون ، من المنصفين ، وزويمر وجب ولامانس وسبرنغر ورينان وغيرهم من المغرضين، الا متعرضين لذلك بتحامل أو بغير تحامل ، ومن ذلك ما ردده تنمان(١) قائلا (العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة ، ولقد كان اولا صابئيا ثم استمد حماسته دينية وحربية من دين محمد المتوفى سنة ٦٣٢ م وهو دين شهواني وعقلي معا(٢) . ثم يتحدث عن العقبات التي عاقت الفلسفة عن التقدم عند العرب ويرجعها الى : ــ

١ : ــ كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلي الحر .

٢ : ــ حزب أهل السنة وهو حزب متمسك بالنصوص .

٣ : ــ ما فى طبيعتهم القومية من ميل الى التأثر بالاوهام (٣) .

أهذا الإسلام شهوانى ؟!

أية أحكام جائرة يلقيها هذا وأمثاله ؟

ان كان فى شخص رسول الاسلام ــ فما عرف عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه خاض فى لهو أو سار فى عبث ، أو أعجبه هذا الذى يعجب الفتيان فى سنه يوم كان شابا فى مقتبل العمر ، لم يتنزل عليه وحي ولم يحمل رسالة ، بل كانت احكام الجاهلية هي المسيطرة المسيرة للناس من حوله ، روى ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن اللهو فى صباه مرتين ، ألقى الله عليه النوم فلم يدخل مع الشبان فى عبثهم ولهو الأعراس .

وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج امرأة ثيبا تكبره بخمسة عشر عاما فلم يختر فتاة كاعبا ، مع تهافت الأسر على تزويجه وقد عرف بالصادق الأمين ، وبقيت معه حتى توفيت فى الرابعة والستين وهو فى سن الحادية والخمسين فقضى شبابه وكهولته وأشرف على الشيخوخة وهو لم يتزوج غير خديجة ، ولم تتطلع عيناه الى دنيا سواها ، أفكان محمد شهوانيا لأنه كان كذلك ؟ وظل ثلاث سنوات بعد ذلك مع امرأة أيم غير جميلة أنقذها بالزواج بعد

---

١ ــ فرنسي مستشرق توفي سنة ١٨١٩ .

٢ ــ كتاب ((المختصر فى تاريخ الفلسفة)) .

٣ ــ الكتاب السابق ص ٣٥٨

وفاة زوجها المسلم ومعاداة أهلها لها ، ثم لم يتزوج بعد ذلك أية امرأة الا لتحقيق مصلحة دينية تتعلق باقرار حكم كابطال التبنى واحكامه فى زواجه من زينب بنت عمته ، وكابطال الرق فى زواجه من جويرية بنت الحارث ، او تتعلق بتوكيد الصلات كزواجه من عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر ، او تتعلق برعاية أسرة وكفالة أيتام كزواجه من ام سلمة ، وكل اللواتي تزوجهن باستثناء عائشة كن أرامل قد فقدن الزوج او العائل !

فاين مكان الشهوة فى حياة محمد بعد هذا ؟! .

واما الدين نفسه ففيه القصد حتى من انصياع الانسان للشهوات المباحة قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (الاية) وفيه الانكار على اولئك الذين يتمرغون فى الشهوات ، ويحيون للذات ، ويحبون ان تشيع الفاحشة « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وفيه التنظيم الشامل للعلاقة الجنسية ، والحد من الانطلاق فى الشهوة ، فالزواج وما يتعلق به من أحكام وشروط الشهود عند عقد النكاح وتقدير العلاقة الزوجية وما يترتب عليها من المهر وحقوق الزوجين وكراهية الطلاق وتحبيذ الاقتصار على الزوجة الواحدة .. انما شرع ذلك من أجل أن يعرف الانسان حده فلا يتجاوزه .

والاسلام يمنع المسلم أن يتزوّج المشركات ولو أعجبنه (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) حتى لا ينطلق وراء الغريزة كيفما يشاء ، وحدد للمسلم حدودا فلا يباح له الزنا ، فان فعل ذلك عوقب أشد العقوبة وكذلك المرأة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

ولا يباح للمرأة أن تخون زوجها فان فعلت فان عليها لعنة الله وغضبه (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) أى فى خيانتها له وقد نهى الاسلام أشد النهي عن الأمور المنكرة من الفواحش حتى لا يكون الانسان شهوانيا (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) .

والاسلام يدعو الى عدم الاسراف فى المأكل والمشرب والملبس ، وهي شهوات (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال صلى الله عليه وسلم (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة) ونهى عن شرب الخمر ، وأمر بغض البصر . « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

أدين شهواني هذا الذى يبالغ فى العفة والطهر ، ويدعو الى الصوم والعبادة ، ويمنع الترف والسرف ، ويحرم الزنا والعهر ؟ .

شهادة منصف

ما أجمل ما يقوله كارليل فى انصاف الاسلام (وقد قيل وكتب كثيرا فى شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى كل ما قيل وكتب جورا وظلما ، فان الذى أباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه وانما كان جاريا متبعا لدى العرب من قديم الأزل ، وقد قلل

محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها من الحدود ما كان فى امكانه ان يجعل ، والدين المحمدى بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم والقواعد الصعبة الشديدة ، وفيه الصلاة خمس فى اليوم والحرمان من الخمر) . وانه لتناقض ان يثبت أن الاسلام عقلي ثم ينفيه بعد ذلك حين يقرر ان الاسلام يعوق النظر العقلي الحر وأن من طبيعة العرب التأثر بالأوهام ..

فالاسلام « يقوم على العقل ويقدر التفكير ويدفع اليه ، ويقيم العقيدة على النظر العقلي قال تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

ثم هو ينعي على اولئك الذين لا يفكرون ولا يعقلون (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين) .

والاسلام يكرر فى كثير من آياته الدعوة الى التفكير (لعلهم يفقهون) (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (ان فى ذلك لعبرة لأولي الابصار) (أفلا يبصرون) (أفلا يعقلون) الى آخر هذه التذييلات فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم وهو يرفع بذلك شأن العقل والتفكير ، والعلم والعلماء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

والاسلام يعتبر مجلس العلم خيرا من عبادة ستين سنة ، ويجعل طلب العلم فريضة ، ويقيم العالمين بمنزلة الشهداء ، ويجعل الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم .. وكل ذلك رفع من شأن العقل والعلم ، فكيف يكون عائقا عن النظر العقلي ؟ ؟ .

ونظرة سريعة الى تاريخ الفكر الاسلامي لتشهد الروعة متجسمة فى المفكرين الأوائل فى تاريخ الاسلام ، فمعاذ ابن جبل وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والخليل ابن احمد الفراهيدى وابن سيرين وعطاء ابن ابى رباح وابن المسيب والحسن البصرى والنظام والعلاف والجاحظ وأبو حنيفة النعمان والشافعي ومالك والثورى والليث بن سعد والأوزاعي وابن رشد والكندى والفارابي وابن سينا وغيرهم من الذين فكروا فى الكون الفسيح وبحثوا فى الله وصفاته وفى أفعال الانسان وصلاح الكون ، والذين وضعوا قواعد الفكر فى الأصول والفقه والذين توسعوا فى العلوم الأخرى كابن الهيثم وابن حنين وبختيشوع والرازى وابن حيان وغيرهم .

أكان الاسلام عائقا لهؤلاء عن التفكير ؟ اهؤلاء تعلقوا بالأوهام ؟ أم أن اوروبا هي التي كانت غارقة فى ضلال الأوهام وخرافات السحر ، وسخافات الأساطير ..

فدعني يا ايها الحاقد امسح بعطر الاسلام جبهة عقلك لعلي واياك والناس ندرك ما فيه من روعة وعظمة .

ودعني يا قارئي الكريم واياك نكون من الناشرين لأريج عطره فى جميع الأرجاء كما يقول الحافظ الشيرازى —

وبيناى فى الحمام اذ وصلت الى
يدى طينة فواحة من يدى حبي
فقلت : أمسك أنت أم انت عنبر
فنفحك هذا قد تعشقه قلبي
فقالت : تراب لست شيئا وانما
جلست بظل الورد حينا على العشب
فصحبته أعلت مقامي كما ترى
وان كنت طينا لا أزال من الترب



بشناق بلباسه التقليدى



يوغوسلافيا

بقلم الدكتور الهادى كورده

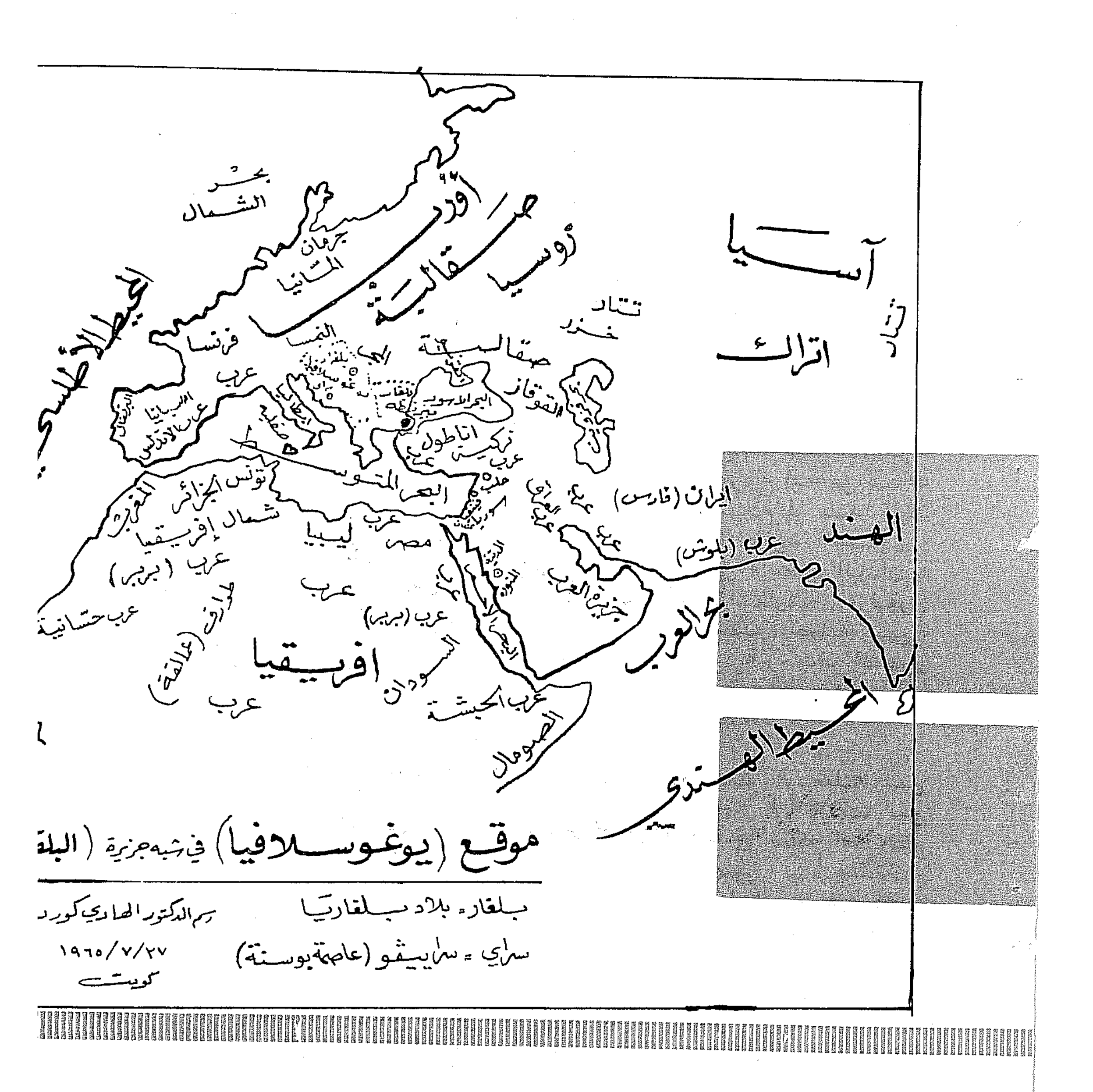
قسم البحوث والترجمة بوزارة الاوقاف

الكويت

انتشار الاسلام فى البلقان قبل الفتح العثماني

المزاعم

لقد راج زعم غير المحققين من كتبة التاريخ أن الاسلام لم يدخل أوروبا الجنوبية الشرقية الا فى زمن الفاتحين الأتراك ، وأن جماعات قليلة من سكان البلقان قد أكرهوا على اعتناق الدين الاسلامي عندما احتل العثمانيون بلدان المنطقة وهي : يوغوسلافيا و (ألبانيا) و (مقدونيا) و (بلغاريا) و (رومانيا) و(المجر) ، وأن البلقانيين وجدوا أنفسهم امام الامر بين الدخول فى الاسلام او السيف . وهذا الزعم قام بنشره أعداء الدين الحنيف الذين قاموا بدعاية مغرضة نظّموها فى الكنائس والاجتماعات



موقع (يوغوسلافيا) في شبه جزيرة (البلق

والكتب المدرسية ، حتى رسخت فى العقول ، وحارب بها الأوروبيون الدول الاسلامية . فنظموا الحملات العسكرية الانتقامية ضد الدول العربية فى أوربا وآسيا وافريقيا لابادة المسلمين فى كل بلد ، كما فعلوا فى اسبانيا والبرتغال وصقلية وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا حيث ازدهرت الحضارة الاسلامية . ثم توجهوا الى جنوب روسيا (القرم) والى القوقاز وأواسط آسيا ، واستولوا على الدول الاسلامية هناك (تركستان وتاجيكستان وكزاكستان وأزبيكستان وكرقيسزستان وأذربيجان) وأزالوا منها معالم الحضارة المحمدية واللغة العربية ، ولم يبق سوى وسائل الدعاية المزيفة ...

وبعد خروج العثمانيين من (البلقان) وقع حصار على المسلمين ومضايقات

المسلمون فى

يوغوسلافيا

حولت بلادهم الى جحيم ، مما اضطرهم الى الجلاء اذا امتنعوا من الارتداد والعودة الى دين أجدادهم . فتمكن أعداء الاسلام من القضاء على الوجود الاسلامي فى (صربيا) و (المجر) وسلافونيا و (دالماسيا) . ولم يبق سبيل للمسلمين فى بضعة أماكن فى يوغوسلافيا وبلغاريا الا بتحمل الأذى أو الهجرة أو الارتداد طيلة ثلاثة قرون والى يومنا هذا .

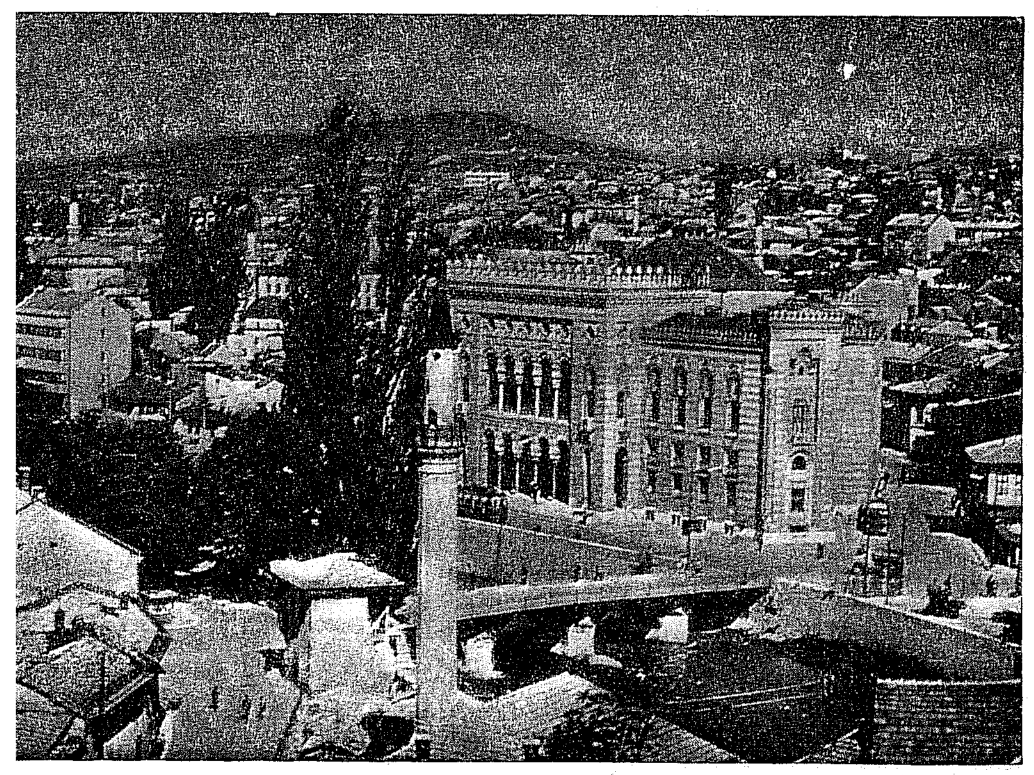
التاريخ الحقيقي

لكن اذا محصنا الوثائق التاريخية الأصيلة ودرسناها بانصاف ، تجلى لنا أن انتشار الاسلام ابتدأ قبل أواخر القرن التاسع الميلادى (ولم يدخل الأتراك يوغوسلافيا الا فى عام ١٩٤٣ م) على يد تجار مسلمين وسياح وزهاد وبعض الأسرى ، فبثوا الدعوة الاسلامية بمجهودهم الخاص ، وحببوا الدين الى قلوب السكان بالموعظة والحكمة . ثم تلتهم جماعات من الشعوب التركية أو قابل (كومان وبجناك ويازيغ وأوغر وبلغار والخزر .. الخ) تطوعوا لخدمة الاسلام ، وعاشوا حياة السكان واختلطوا بهم فصاروا منهم . فامتد الاسلام من مناطق القوقاز وما حولها الى أراضي نهر الدانوب وروافده (تيسا ، سافا ، مورافا ، ورينا) التي تمر ببلاد رومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا . فتكونت دويلات اسلامية على شكل واحات جميلة فى شبه جزيرة البلقان . سعدت بتعاليم الدين الحنيف فهما وتطبيقا وذاع صيتها ، فزارها العلماء العرب من مؤرخين وجغرافيين واقتصاديين ودعوا (البجناك) الى زيارة العواصم العربية لربط الصلة بالعلم والمصاهرة .

المؤرخون العرب فى البلقان

يذكر (عبد الله البكرى) (المتوفى فى قرطبة ١٠٩٤ م) في «المسالك والممالك» فئات من علماء الفقه والتوحيد بين اليازيغ والبجناك والبلغار . وزار (ابو حامد الغرناطي) سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) المسلمين فى (بشغرديا) وقص علينا اقامته فيهم فى كتابه « تحفة الألباب » وكيف فرحوا به وتزوج ابنه من بنات أعيان فرسان الاسلام فى هذا البلد المزدهر . ويخبرنا (ياقوت الحموى) فى سنة ١٢٢٨ م فى « معجم البلدان » بتعرفه بطائفة (الباشغاردية) ، فيقول وجدت بمدينة (حلب) جماعة كبيرة يقال لهم (الباشغردية) ، شقر الشعور والوجوه جدا ، يتفقون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة أمة من أوربا يقال لهم (الهنكر) = (هنغار ، المجر) ، ونحن مسلمون رعية لملكهم فى ناحية من مملكته ، نعيش فى ثلاثين قرية يكثر فيها العمران والمباني الجميلة والمساجد ، مما يعطي لكل قرية شكل بليدة منظمة ، ولكن بغير تحصينات ولا سور ، حيث أن اقامة السور ممنوع علينا من طرف ملك الهنكر النصارى لئلا نثور على نظام هؤلاء . ونحن نخدم الجندية مع الهنكر ونلبس زيهم ونتكلم لسانهم ونذود عن الوطن مع الجيش الهنكر الذى كان يحارب مجاوريه وهم دائما من النصارى . فسألته عن سبب اسلامهم مع وجودهم فى اواسط اوربا الكافرة . فقال سمعت فئة من أجدادنا يتحدثون أنه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد (بلغار) وسكنوا بيننا وتلطفوا فى تعريفنا



سراييڤو ـ منظر عـام
الماء والخضرة والوجه الحسن مبنى كلية الشريعةالذى أصبح متحفا

ما نحن عليه من الضلال ، وارشـدونا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعا وشرح الله صدورنا للايمان ونحن نقدم الى هذا البلد ونتفقه فاذا رجعنـا الى بـلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم. فسألته لم تحلقون لحاكم كما تفعل الافرنـج ؟ فقال : يحلقها منا المجندون ويلبسـون لبسة السلاح مثل الافرنج أما غيرهـم فلا . قلت فكم تبلغ المسافة بيننا وبين بلادكم ؟ فقال من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصف ، ومن القسطنطينية الى بلادنا نحو ذلك .

والمراد من بلاد (بشغرديا) هو أرض (هنغاريا) أى المجر ، حسب ما أثبته المؤرخ الألماني (ماركسفارد)فى(موسوعة الاسلام) ويتجلى من تقريـر (ياقوت الحموى) أن المسلمين فى هذا البلد كانوا على مذهب أبي حنيفة .

ونستنتج من روايـة (ياقوت) أن ملوك المجر كانوا لا يثقـون بالمسـلمين العائشين فى المجر ، رغم ولائهم لهؤلاء الملوك ، ومشاركتهم فى الحروب ، تحت راية المجر ، فى محاصرة مدينة (ميلانو) بايطاليا عام ١١٥٨ م ، وفى (مورافيا) (١٢٦٠ م) وضد التتار سنة ١٢٤١ م على تخوم (هنغاريا) باخلاص وبسالة نادرين .

ولكن لما اشتد سـاعد ملوك المجـر وخاصة من ٩٩٧ م الى ١٠٣٨ م ، حين قـوى الملـك الكاثوليـكي (اسـتيفان

القديس) تضاعف الاضطهاد ضد المسلمين . فصادر هذا الملك المتعصب أملاك المسلمين البجناك وأموالهم ليبني بها فى مدينة (فروأر) الكنيسة الموجودة الى الآن . وفرضت ألوان من المضايقات ضد المسلمين ، بايعاز من البابا بروما الذى اعتبر المسلمين كفارا ، وأمر بابادتهم بجميع الوسائل .

وفى عهد الملك المجرى (كارل روبرت) (١٣١٠ — ١٣٤٢) تفاقمت اجراءات التعسف ضد الاسلام ، فاستعان (كارل) بتعاليم البابا الصادرة عام (١٣٤١ م) والقاضية بازالة آثار الاسلام والمسلمين، وذلك بأن يغادر هؤلاء المجر أو أن يعتنقوا الكثلكة ويدفعوا نصف ثروتهم للكنيسة ويقدموا أبنائهم كزوجات للمسيحيين ، وأن يأكلوا لحم الخنزير ويشربوا الخمر، ويقيموا الكنائس ، ويعلقوا لوحة الصليب فى كل بيت ، ويزيلوا معالم اللغة العربية ويحرقوا القرآن الكريم . فطال التنكيل بالمسلمين على مدى ٣٥٠ سنة هاجر خلالها غالبيتهم من بلاد المجر وانتهى بذلك وجود الاسلام ببلاد (هنفاريا) .

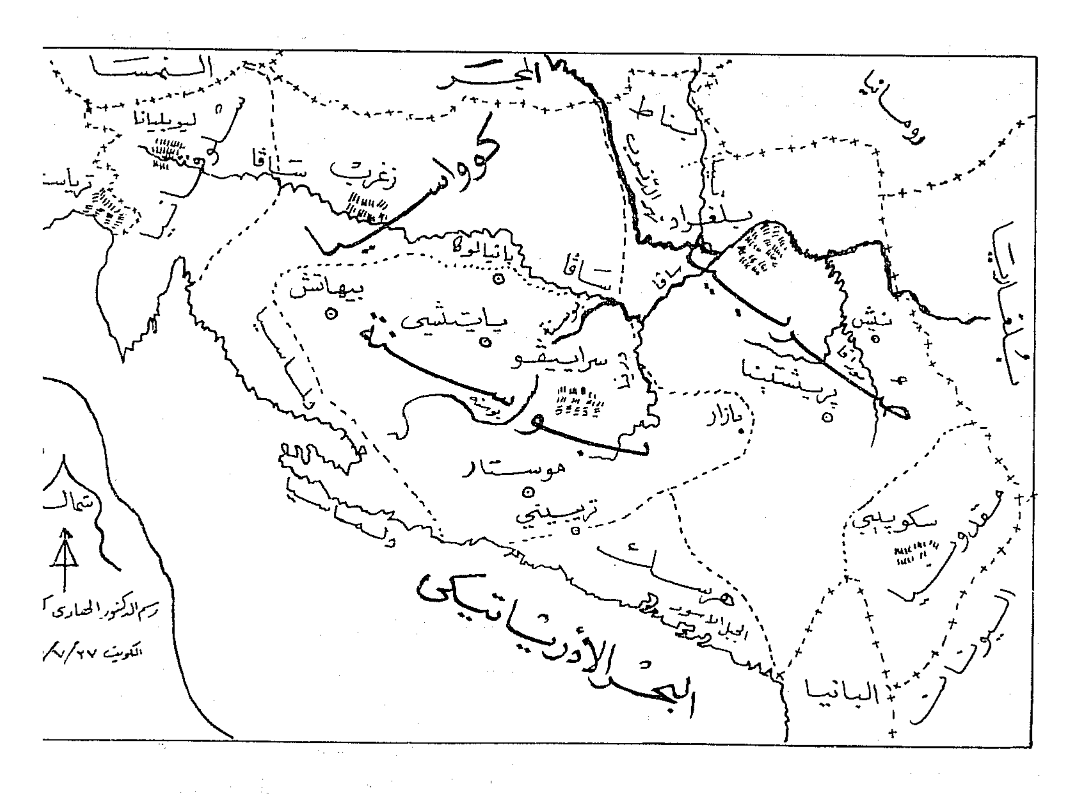
ووصل الكثير منهم الى (بوسنة) فى يوغوسلافيا .

وكانت قبائل البجناك قد اختلطت مع الصقالبة فى بلاد المجر وتكلمت لغتهم . وفى سنة ٩٧٣ م قام (ابراهيم ابن يعقوب الاندلسى) برحلة خلال المانيا وبلاد شرقي أوربا ، ولاحظ أن شعب البجناك ينطق باللغة الصقلبية بحكم اندماجهم فى الصقالبة فى (هنغاريا) ثم تمركزوا فى (بوسنا) حيث يدين السكان الصقالبة بدين « يطابق (١) » تعاليم الاسلام ويحمل اسم المذهب (البوغوميلى) فاختلط البجناك (بالبوغوميلي) وعدلوا بعض عقائدهم واندمج الشعبان وامتد دينهم الى بلاد (هرسك) فتمسكوا بالاسلام الى دخول العثمانيين عام ١٤٦٣ م . فصمموا بعض تعاليم طبق المذهب الحنفى واصبحوا من أقوى الدعاة للدين الحنيف رغم المضايقة المسيحية حولهم .

مناطق المسلمين وشعوبهم فى يوغوسلافيا

يوجد فى يوغسلافيا ثلاثة أجناس من المسلمين (الألبان) و (الأتراك) . في الجنوب (مقدونيا) ومقاطعة (قصوة — متوخيا) . ويقطن وسط يوغسلافيا الصقالبة فى بوسنة و (هرسك) و (سنجق بني بازار) وهم الأكثرية من

(١) ان اللفظة الصقلبية « بوغوميلي » تعني « أحباء الله » وتمتد أصول هذه الفرقة الدينية بادىء ذى بدء الى « المانوية » التي دخلت عليها تأثيرات مسيحية وبوذية . ثم تنقحت بعناصر اسلامية مستمرة فى تسربها الى بلاد المجر عن طريق التجار العرب ومن بعد بواسطة روايات المسافرين المجر الى البلاد الاسلامية . ثم اقتربت من تعاليم الاسلام حتى اصبحت تطابقها . وهكذا كان « البوغوميلي » يصلون خمس مرات بالنهار ويعبدون الله وهم ساجدون ، غير أنهم ما كانوا يؤدون الشهادتين على النمط الذى رتبه الاسلام وسيأتي فيما بعد المزيد عن تاريخ المعتقد « البوغوميلى » (أنظر : الدكتور س.م. عبد الله) « الاسلام فى يوغلافيا » المجلة الاسلامية ، برلين ري غ — ١٩٣٦) .



المسلمين وعرقهم الصقلبي أنقى عناصر الصقالبة فى البلقان وكذلك فى (الجبل الأسود) وفى بعض مناطق (مقدونيا) . و (صقلب) لفظة عربية تقابلها كلمة (سلاف) باللغات الأوروبية ، استعملها المؤرخون العرب كأمثال (المسعودى) فى « مروج الذهب » وغيره .

وأوسع منطقة اسلامية وأجملها وأغناها فى يوغسلافيا هي (بوسنة) مع جزئها الجنوبي (هرسك) والجنوبي الشرقى (سنجق بنى بازار) بين نهر (سافا) شمالا ، ونهر (درينا) شرقا ، وبلاد (دلماسيا) غربا ، و (الجبل الأسود) جنوبا . ولها مساحة تبلغ ٥١٠٦٤ ميلا مربعا ويسكنها مليون ونصف مليون نسمة واذا أضفنا لهذا العدد سكان مقدونيا ومقاطعة (قصوة) يصل المسلمون فى يوغسلافيا الى مليوني نسمة رغم أن عددا كبيرا يغادر بلاده الى تركيا تحت الضغط الشيوعي الحالي .

أصل أهالي بوسنة وهرسك

ان اجداد اليوغسلاف (أى سلاف الجنوب) من أواسط أوربا وراء جبال (كربات) . وكانوا من الوثنيين، ونزحوا الى البلقان بينما كانت هذه البلاد مأهولة من (الالير) ، وهم الأهالي الأصليون . وقبائل الصقالب الجنوبية كانت تحمل أربعة أسماء رئيسية ، أطلعت فيما بعد على الأقاليم التي تمركزت فيها على النمط التالي :ـ

١ : ـ فى الوسط والجنوب الغربي

المسلمون في

يوغوسلافيا

البجناك (بوسنة وهرسك) و (بني بازار) .

٢ : ـ في الشمال الغربي الكروات (كرواسيا) .

٣ : ـ في أقصى الشمال الغربي سلوفان (سلوفانيا) .

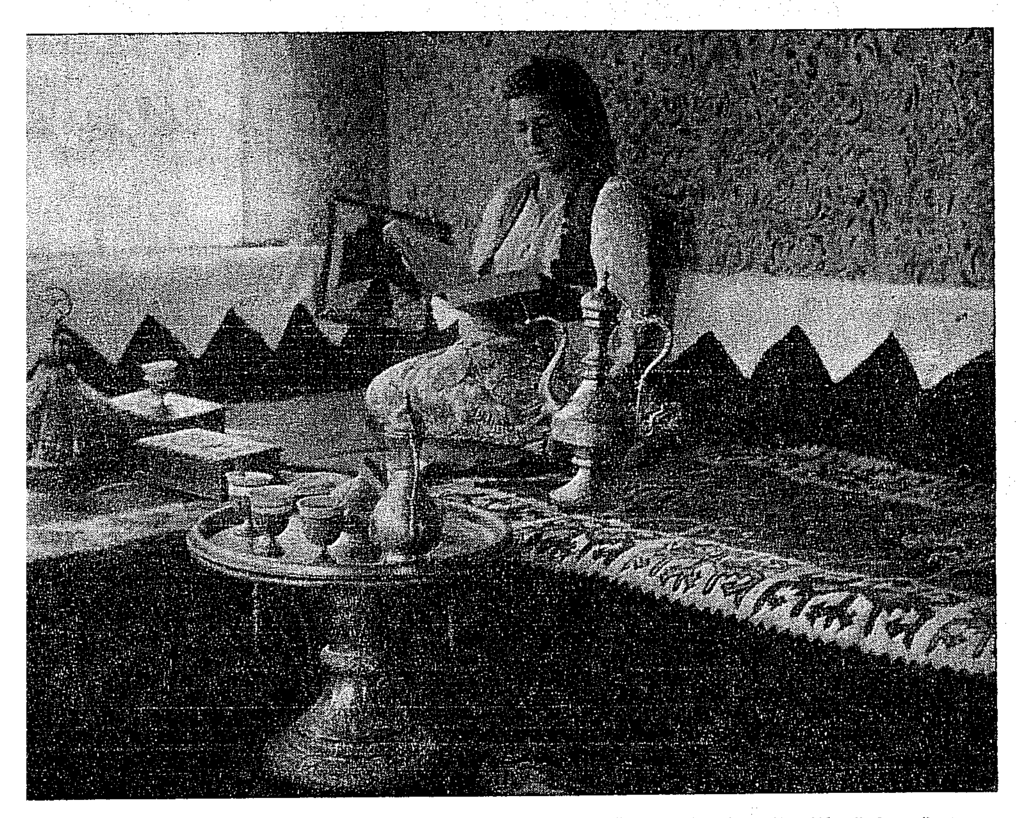
٤ : ـ في الجنوب الشرقي في الصرب (صربيا) .

ولما تم استقرار هذه القبائل في القرن السابع الميلادي ، بسطت عليها (بيزنطة) أطراف سلطنتها ، ودفعت بالصقالبة لمحاربة العرب ، خاصة ضد حصون (سيف الدولة الحمداني) في القرن العاشر الميلادي ولكن كان الكثير من هؤلاء الصقالبة يفرون الى العرب ويعيشون في (حلب) ، أو يقعون في أسر (سيف الدولة) فيحسن اليهم ، ويدخلون في الاسلام . وذكر الصحابي (أبو ذر الغفاري) أن أربعة من الصقالبة رافقوه في سفره من دمشق الى المدينة المنورة .

تكوين دولة يوغسلافيا

وكان الصقالبة في هذا البلد وثنيين ولم يدخلوا في النصرانية عنوة الا بعد منتصف القرن التاسع من الميلاد . فأجبر (الكروات) على اعتناق الكثلكة وانضموا الى معظم مملكة المجر سنة ١١٠٢ م ما عدا جزء منهم ، استولت عليه المملكة النمسوية ولما أخضعته لحكمها التعسفي سنة ١٥٢٦ م . فلما امتد الحكم التركي الى المجر ، سقط الكروات تحت سيطرة العثمانيين، وبقي الجزء الآخر تابعا للحكم النمساوى المجرى : الى نهاية الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٨ حين تأسست مملكة (الصرب والكروات والسلوفان) . أما الصرب فقد انفصلوا عن نفوذ (بيزنطة) وتحصنوا في جبالهم تحت قيادة أمرائهم، وكونوا ممالك متفرقة ، دينها الأرثوذكسية ، متزاحمة فيما بينها . مما أدى الى سقوطها تحت السلطنة العثمانية ، التي حكمتهم الى انعقاد مؤتمر برلين (١٨٧٨) حين احتضنتهم (روسيا) . فنالوا استقلالهم وكونوا النواة لمملكة (الصرب والكروات والسلوفان) سنة ١٩١٨ تحت أسرة (قارة جورجفتش) الى عام ١٩٢٩ ، حيث أصبح اسمها (يوغسلافيا) . ومنذ سنة ١٩٤٥ أعلنت الجمهورية الاشتراكية الشيوعية بزعامة (يوزيب بروزتيتو) الذى كان يشتغل قفالا ثم أمينا عاما للحزب الشيوعي الصربي (اليوغسلافي) .

وكانت دولتا الكروات والصرب تعاديان مملكة بوسنة وهرسك) بايعاز من البابا . فكانت المملكة بوسنة في حالة حروب دفاعية ضد المنطقتين المذكورتين طيلة ثلاثة قرون مليئة بالحملات الصليبية ضد كيانها الاسلامي المهدد بالفناء . ففى عام ١٤٦٣ دخل السلطان العثمانى (محمد الفاتح) مدينة (سراييفو) عاصمة بوسنة ثم الى عام ١٤٨٣ م اصبحت (هرسك) خاضعة للباب العالي وتبعهما (سنجق بني بازار) فشملهم السلم



سيدة مسلمة تطالع المصحف الشريف قبل اهداء القهوة اليمنية للضيوف بمدينة (تريسبيني) .

الاسلامي وانتشرت الحضارة وشيدت المساجد فى كل قرية ، منهـا ثمانـون جامعا بمدينة (سراى) وحدها . الى أن نص مؤتمر برلين (١٨٧٨) علىادماج (بوسنة وهرسك) فى المملكة النمساوية ـ المجريـة فقـامت النمسـا تفرض الكثلكة بالقـوة وشـيدت المحصنـات العسكرية وعبدت طـرقات للاحتـلال العسـكرى . ولـكن وعدت بأن يكون احتلالها مؤقتا على ان تستمر السلطة الاسمية للبـاب العـالي على المناطـق الاسلامية فى يوغوسلافيا . فما كانت سنة ١٩٠٨ حتى أعلن ملك النمسـا (فرانز يوسب) ادماج (بوسنةوهرسك) وجعل الأولوية للدين الكاثوليكي كدين

الدولة النمساوية ـ المجرية . وفـي عام ١٩١٨ احتلت (صربيـا) ولاتنف (بوسنة وهرسك) والجبل الأسـود وكرواسيا ، وكونت مملكة (يوغوسلافيا) واستقلت من الحكم النمساوى . وفي عام ١٩٤١ احتل هتلر وموسوليني هذه الدولة فى عاصمتها (بلغراد) وفصلا (كرواسيا) عنهما على أن تكون تحت الحماية الايطاليـة وتتبعهـا (بوسـنة وهرسك) كجزء منها . وتحت قيـادة (تيتو) أصبحت يوغوسلافيا تتالف من ست جمهوريـات اتحاديـة اشتراكية عاصمتها (بلغراد) من جديد .

ـ يتبع ـ

هيئة دراسات الشرق الأوسط
الحلول السلمية لقضية فلسطين

اعرف عدوك

ايشل ماتين الكاتبة العالمية

فى بريطانيا منظمة تطلق على نفسها اسم « لجنة المائة » ، تضم مفكرين وعلماء وأعضاء عاديين من مختلف أنحاء العالم ، وهي تدعو الى اقرار السلام العالمي وتجنب الحرب وحظر التجارب النووية وتحويل ما ينفق على أجهزة الحرب والدمار الى ما ينفع الانسانية .

لقد انبثق عن هذه اللجنة هيئات متعددة ، منها « هيئة دراسات الشرق الأوسط » ، التي نشرت مؤخرا مشروعا لحل سلمي للقضية الفلسطينية .

ان بعض اليهود الذين ينتحلون صفة الاشتراكية قد اشترك فى وضع هذا المشروع الذى قصد منه فتح حوار على مستوى عالمي حول موضوع الحل السلمي لمشكلة فلسطين يكسب منه اليهود فقط .

ومن الأمور البارزة فى هذا المشروع القول بأن اسرائيل وجدت لتبقى مع وضع بعض الشروط التي لا يمكن أن ترضي الحق العربي فى فلسطين .

وفى ((يوم فلسطين)) الذى أقيم فى لندن ، وزع هذا المشروع فى منشور صغير وكانت ايشيل مانين الكاتبة العالمية الشهيرة ومؤلفة ((الطريق الى بئر السبع)) من بين الحضور الذين تلقوا هذا الكراس ، فردت المشروع المعروض مبينة الأخطاء الشنيعة التي وقع فيها واضعوه .

وفيما يلي مشروع الهيئة ، ثم رد الكاتبة عليه ...

كانت مشكلة فلسطين والصراع العربي ــ الاسرائيلي وما تزال مصدرا دائما لسفك الدماء وللألم والظلم منذ عدة سنوات ، كما كانت (نزيفا) للموارد الاقتصادية فى الشرق الأوسط ، ومبررا للتدخل الاستعماري والعدوان العسكري فى ذلك الجزء من العالم ، وتهديدا دائما للسلام العالمي .

وهذا الصراع ، من غير أن تخفف منه الايام ، ازداد حدة ومرارة بل وخطورة ، اذ أن معاناة وآلام اللاجئين الفلسطينيين تطول ، وحدة الشك والكراهية تزداد عمقا ما بين العرب واليهود .

ان الزعماء الاسرائيليين يعلنون أنهم على استعداد لاقامة سلام مع العالم العربي ، وان العقبة الوحيدة أمام ذلك هو رفض العرب اقامة سلام مع (اسرائيل) ، وعلى أية حال ، فقد أوضح هؤلاء الزعماء أنفسهم ، بما لا يقبل

الشك ، أنهم هم أنفسهم ليسوا على استعداد للقيام بأية تنازلات للوصول الى تسوية سلمية ، وحين يتكلمون عن « السلام مع العرب » فانهم يعنون بذلك تسوية يقبل فيها العرب « بسلام الأمر الواقع » ، وهذا يعني أن الصهيونيين يطلبون من العرب أن يعترفوا ويقبلوا (باسرائيل) فى شكلها الصهيوني الحالي، ويسلموا بأن خطوط هدنة ١٩٤٩ هي حدود ثابتة دائمة ، وأن يتنازل اللاجئون

يحتمل فى وسطه دولة صهيونية هدفها المعلن ليس للتعبير السياسي عن سكانها فقط ، بل لتكون رأس جسر وأداة سياسية ومقر نهائي لليهود من جميع أقطار العالم ... ، والاطالة من « الأمر الواقع » هو اطالة وتعميق للصراع الحالي والمغامرة بعراك عسكرى قد تكون نتائجه دمار (اسرائيل) .

وحتى لو أوقف الجمود العسكرى

تقول : من السفاهة ايجاد حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي

تدمير اسرائيل هو الحل الوحيد للمش

الفلسطينيون والعرب والمسلمون يعرفون طريق الح

الفلسطينيون العرب عن حقوقهم فى العودة الى وطنهم .

الجواب العربي

ومن الجانب الآخر ، فان كثيرا من القادة العرب ، مع بعض الاستثناءات الواضحة ، ينادون صراحة بأن الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية هو فى تدمير اسرائيل وحرمان السكان اليهود من حقهم فى تقرير مصيرهم السياسي .

ان كلا هذين الجانبين لعلى خطأ وبالغ الخطورة ، وهما لا يضعان برامج لتسوية النزاع ، بل على النقيض يخططون لاطالته الى أجل غير مسمى ، فالعرب لا ولن يستطيعوا قبول الأمر الواقع كأساس للتسوية ،والعرب الفلسطينيون لن يتنازلوا عن حقوقهم الفردية والوطنية فى فلسطين ، كما أن العالم العربي لن

الصدام النهائي ، (فاسرائيل) المعزولة المحاصرة لا يمكن لها أن تستمر ما لم تصبح أداة للاستعمار .. ، والاستعمار نهايته حتمية فى الشرق الأوسط .

ومن الجانب الآخر فان دمار (اسرائيل) ورفض حق (الامة العبرية الاسرائيلية) فى تقرير المصير لن يحل المشكلة الحالية ولكن سيقلبها رأسا على عقب ، وأية محاولة للوصول الى حل كهذا لا تعني فقط المزيد من الآلام وسفك الدماء ، بل تعني أيضا استمرار حالة الحرب ، فضلا عن ايجاد مبرر للتدخل .

المبادىء الثمانية

لذلك نرى أن أى حل عادل وثابت يكون متفقا مع آمال الشعوب العربية فى الوحدة المبنية على الاشتراكية ، ومع

اعرف عدوك

حق (الشعب العبرى الاسرائيلي ! !) فى تقرير المصير ، ومع الحقوق الفردية والوطنية للفلسطينيين العرب ، يجب أن يكون مبنيا على المبادىء الثمانية التالية :

١ : ــ تمتنع (اسرائيل) عن أن تكون دولة صهيونية (أى دولة لجميع الشعب اليهودى فى كافة أنحاء العالم) ، وتصبح دولة لسكانها فقط ، ويجب أن تلغى جميع القوانين والاجراءات التي تميز بين اليهود وغيرهم ، ولا سيما « قانون العودة » الذى يمنح اليهود حيثما كانوا حقوقا مطلقة وأوتوماتيكية فى الهجرة الى (اسرائيل) ، وأن يصبح مواطنا اسرائيليا ، وكل طلب للهجرة يجب أن ينظر فيه على انفراد وحسب استحقاقه بدون أى تمييز يقوم على أسس عنصرية أو دينية .

٢ : ــ يمنح اللاجئون الفلسطينيون العرب حق العودة ، وتستوعب (اسرائيل) اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا هؤلاء الذين يرغبون فى العودة ، أما أولئك الذين يفضلون عدم العودة فيجب أن يعوضوا بشكل مناسب عن ممتلكاتهم ومآسيهم الفردية .

٣ : ــ تلغى جميع اجراءات « الأمن » المتخذة ضد السكان العرب فى (اسرائيل)، ويدفع تعويض كامل عن جميع انتزاعات الملكية والاضرار (فى الأرض والثروة والأفراد) التي وقعت بسبب هذه الاجراءات والقوانين الأخرى غير العادية.

٤ : ــ تعمل (اسرائيل) على تنفيذ سياسة معادية للاستعمار : وتشترك بصورة فعالة فى النضال الرامي الى تشكيل وحدة أو اتحاد لأقطار الشرق الأوسط .

٥ : ــ يجرى النضال العربي للوحدة المبنية على الاشتراكية مع الهدف والاستعداد لاقامة (اسرائيل) غير صهيونية شريكا فى وحدة كهذه .

٦ : ــ الى أن تتم اقامة وحدة أو اتحاد كهذا ، على الحكومات العربية أن تعمل على تنفيذ سياسة اعادة الأمور الى حالتها الطبيعية تماما فى علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية مع (اسرائيل) الجديدة غير الصهيونية ، وتسوّى جميع الخلافات سلميا فى روح صداقة وتعاون .

تقرير المصير

٧ : ــ يسمح للفلسطينيين العرب أن يقرروا كيف يمارسون حقهم فى تقرير المصير ، وعلى (اسرائيل) والعرب ألا يتخذوا أية خطوات قد تتحيز أو تتدخل بهذا القرار .

٨ : ــ فى حالة تقرير الفلسطينيين اقامة كيان أو دولة خاصة بهم يسبق والى حين اقامة الوحدة أو الاتحاد المنوّه عنهما فيما سبق ، فان على الدول التي تدير حاليا جزءا من المنطقة ، غربي نهر الأردن ، نتيجة اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ ، أن تتخذ عن طريق التشاور المتبادل ، التدبيرات المتعلقة بالحدود والضرورية لتسهيل اقامة هذا الكيان المستقل .

اننا ندعو جميع محبي السلام من العرب واليهود على حد سواء ، وجميع الأحزاب والأفراد الذين يهتمون بالوصول الى حل عادل وثابت للمشكلة الفلسطينية ندعوهم الى المصادقة على هذا البرنامج والنضال لتحقيقه .

وبعد

هذا هو نص مشروع « هيئة دراسات الشرق الأوسط » التابعة للجنة المائة ، وقد نشرت الوثيقة السابقة التي تحتويه فى عدد من الصحف اليهودية والعالمية ، **ولا بد قبل ايراد تعليق الكاتبة ايثيل مانين عليه من التنبيه الى أن الحق العربي فى فلسطين الذى استلب عنوة ، لا بد أن يعود بقوة السلاح العربي .**

ان (اسرائيل) أداة الاستعمار والسرطان الذى يهدد الوجود العربي ، فى عرف هذه الهيئات واللجان الدولية ، باقية ويجب أن تبقى .. لأن اليد اليهودية ذات أثر فعال فى مقررات ودعوات هذه الهيئات واللجان ، وهي يد عملت على أقامة دولة مغتصبة فى قلب الوطن العربي ، ولن يكون سحق هذه الدولة الا بالعمل العربي والعربي فقط..

ان هذه الدعوات المشبوهة التي كان مصدرها غربي ويهودى لن تجد عند الشعب العربي الا كل حرب ، وستلقى ، مع الكيان اليهودى المصطنع فى فلسطين، النهاية التي لا بد منها ...

لقد أثارت الكاتبة مانين كثيرا من النقاط فى ردها على هذا المشروع المشبوه .

وفيما يلي نورد رد الكاتبة :

أهنالك حل سلمي ؟ ..

أظهرت مسودة مشروعكم لحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي والمسلّمة اليّ فى اجتماع « يوم فلسطين » ، أظهرت وأرجو المعذرة ، نقصا كاملا فى تفهم حقائق الوضع .

١ : ـ قلتم بأن من الخطأ للعرب أن يرغبوا فى تدمير (اسرائيل) ، وفى قول هذا فشلتم تماما فى ادراك الحقيقة الأساسية الأولى وهي أن المدعوة (اسرائيل) ما هي الا فلسطين التي تحتلها الصهيونية ، والتي شرّد ايجادها مليونا من الفلسطينيين وحرمهم من ممتلكاتهم، وهم أصحاب البلاد الشرعيون، وحين أقر قرار التقسيم فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، منح اليهود ، وهم ثلث السكان ، ثلثي البلاد .

٢ : ـ انكم تشيرون الى « الأمة العبرية » ، بينما كون المرء يهوديا أمر يتعلق بالدين ، وليس بالجنسية .

لقد كان اعلان فكرة «اليهود كجنس» هو الأساس الذى استندت اليه النازية فى عدائها للسامية ، كما أنه الاساس الذى تقوم عليه الصهيونية ، والأمر الثابت فى علم الأجناس أن اليهود ليسوا جميعا ساميين ، ولا يجوز أن يمنح حق تقرير المصير لمجموع خليط من الناس ذوى لغات متعددة يسمون باليهود ، أكثر مما هو جائز لمجموع خليط من الناس ذوى لغات متعددة يسمون بالمسيحيين .

فاليهودى الأميركي هو شخص أميركي يدين باليهودية ، واليهودى الانجليزي انجليزي أيضا ويدين باليهودية وهكذا...

٣ : ـ لا يمكن (لاسرائيل) أن تتوقف عن كونها دولة صهيونية ، ففي هذا تناقض فى القول ، (فاسرائيل) ، الدولة اليهودية ، هي من خلق الصهيونية ، وأنتم تقولون أنها ستصبح دولة لسكانها فقط ، ولكن من هم سكان (اسرائيل) ؟

أنهم يهود من كافة أقطار الأرض ، يضاف اليهم :

* مائتا ألف من العرب الذين بقوا وهم مسلمون ومسيحيون .

* واليهود الآخرون الذين كانوا قبل عام ١٩٤٨ ، وكثير من هؤلاء لهم حق البقاء كالعرب ، اذ كان هنالك منذ عصور قديمة ، يهود فى فلسطين ، ولكن الغالبية العظمى الموجودة الآن قدمت نتيجة حملات الضغط والهجرة التي تمارسها الصهيونية على يهود العالم .

البقية على ص ٩٨

قصة العدد

زاهدٌ وخليفة...

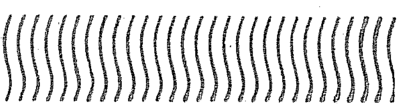
محمد شوقي

* أفل نجم بني أمية وأظلمت سماء خلافتهم بمقتل « مروان بن محمد » الخليفة الأموى الثالث عشر والأخير على أرباض مصر فى عام ١٣٢ للهجرة ، وانقضت بذلك أيام خلافتهم التي دامت قرابة قرن من الزمان ..

ومهما قيل من خير أو سوء فى خلافة بني أمية ، وما تناولته احاديث الرواة ، وسطرته اقلام المؤرخين ، فقد كانت خلافة عربية فى مضمونها وأهدافها وكاد أن يكون مذهبها السياسي ... العرب للعرب وبالعرب .

ولقد عاصرت المتاعب طريق بني أمية وزرعت على جانبيه الاشواك والمحن منذ أول خلفائهم ، معاوية بن أبي سفيان ، حتى لفظت هذه الخلافة آخر أنفاسها بمقتل مروان بن محمد .

نعم . فمنذ اليوم الأول لخلافة معاوية ، زرعت الأحقاد والضغائن فى نفوس الطالبيين ، ومن ورائهم الشيعة والخوارج ، ورأى معاوية نفسه مدفوعا لمصارعة أكثر من عدو فى أكثر من جبهة وميدان ، وأحس المسلمون أنهم يوشكون أن يتفرقوا شيعا وأحزابا تتطاحن على الملك وتتناطح على السلطان ، ورأوا انفسهم على مفترق طرق كثيرة يميلون



الى هذا الفريق حينا ، أو يتبعون ذلك الحزب حينا آخر ، وأوشك أن يصير الدين والحفاظ عليه أمرا يهون الى جانب الحظوة بالملك والسلطان .

ولولا أن « معاوية » كان يملك رصيدا ضخما من الحلم والذكاء والأناة ، ولولا أنه كان يملك طول باع وحسن سياسة لما قدر لبنى أمية أن تطول أيامهم حتى قاربت مائة عام واتسعت على مدارها فتوحات المسلمين ، فانفسحت فى المشرق حتى جاوزت خراسان وبلاد السند ، وبلغت مشارف الصين ، وامتدت فى اقصى الغرب حتى لامست حدود فرنسا .

على أن مكمن الخطر الذى لم يفطن اليه بنو أمية ، ولم يدخروا له حسابا ، أو يلقوا اليه انتباها ، انما كان مخبوءا فى لفائف تلك الدعوة الجديدة التي نبتت فى بيت بني العباس بأن يتولى أمراؤه زمام خلافة المسلمين بعد أن يتقوض حكم بني أمية الذى بدأ الفساد يدب فيه منذ مات « عمر بن عبد العزيز » وتولى الخلافة من بعده ، يزيد بن عبد الملك عام ١٠١ للهجرة .



للاستاذ : حسين الطوخي

كان طبيعيا أن ينحرف حكم بني أمية منذ اللحظة الأولى التي أسلموا أنفسهم فيها لمفاتن الدنيا وزينتها ، ومنذ اتخذوا الدور الباهرة والقصور الفاخرة مقاما لسكناهم ، ومنذ عزلوا أنفسهم عن جماهير المسلمين خلف جدران كسيت برقائق الفضة والذهب ومنذ استعملوا حجابا يقفون بأبوابهم يأذنون لهذا النفر بالدخول ويمنعون ذلك النفر من المثول.

وكان طبيعيا كذلك أن يتزعزع سلطان الدين ويخفت صوته فى نفوس المسلمين وهم يشهدون خلفاءهم ينزعون الى اتخاذ دمشق عاصمة للخلافة بديلا عن مكة والمدينة مع ما لهما فى قلوب المسلمين من قداسة لا تهتز أو تهون .

وعلى كر الاعوام ، يتراخى حرص الخلفاء على دينهم مثلما يتراخى الحبل المشدود بين الطاعة والمعصية ، فلا تلبث العيون أن تزيغ فيما يسمعون ويشهدون من سلوك الامويين الذين استبدلوا فى مجالسهم القيان والجوارى والغلمان بالعلماء والفقهاء وذوي الفضل،واتخذوا منهم سمارا وندماء لهم فى مراحهم ونزواتهم ، ومن ثم أصبح المسلمون ، وأمسوا يرتقبون بزوغ فجر جديد ...

وحملت الرياح من خراسان دعوة بني العباس وبيعة ((أبي العباس عبد الله)) خليفة للمسلمين الى العراق ، والشام ومصر ، ودخل الى الكوفة أبو العباس أول خليفة عباسى فى الثالث عشر من شهر ربيع الاول لعام ١٣٢ للهجرة ، واتجه الى المسجد فصلى بالناس ، ثم خطب فيهم بعد أن حمد الله ، واثنى عليه وافتخر بقرابته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين ، واثنى عليهم ، ونعى على بنى حرب وبنى مروان أثرتهم وظلمهم وقال :

((واني لأرجو الا يأتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله .. يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فأنا السفاح المبيح والثائر المتيح .

افتتح ((عبد الله السفاح)) خلافته بالقبض على الامويين ومطاردتهم أينما رحلوا أو أقاموا ، وأعمل السيوف فى أعناقهم وصادر أموالهم دون محاكمة أو مساءلة ولم يكن مداد صحائف حكمه الا دماء بني أمية وكل من يتشيع لهم أو يجرى بذكرهم لسانه .. كانت شهوة الانتقام من بني أمية عارمة وملتهبة طوال خلافة ((السفاح)) وأعانه على تقليب جمرها عماه « عبد الله بن علي » و ((داود بن علي)) وقد عمد عبد الله ايغالا

منه فى الوحشية الى قبور بني أمية فنبشها حتى يمحو آثارهم ، وحين نبش قبر ((معاوية)) لم يجد بداخله الا خيطا مثل الهباء .

الخليفة العالم

ولم تطل أيام السفاح التي قضاها يريق دماء الامويين وَيَوَدُّ لَوْ يمحو سني خلافتهم من سجل الزمن ، ومات بالانبار فى شهر ذى الحجة لعام ١٣٦ للهجرة . وبويع بالخلافة لأخيه ((أبي جعفر عبد الله)) ولم يعد هناك من خوف على خلافة العباسيين بعد أن بادت دولة الامويين ، ولم تبق منهم بقية يخشى لها بأس ، أو يدخر لها حساب . . .

أصبح ((ابو جعفر المنصور)) وأمسى ذات يوم ليجد نفسه خليفة للمسلمين وأمينا على ملك عريض ودين يضرب بسهامه فى أغلب قارات الأرض . وجاءته بعوث قسطنطين الخامس ملك الروم وشارلمان ملك فرنسا يخطبون وده ، ويتبادلون الهدايا والمواثيق ليرعى كل ملك حقوق جيرانه ، ويفتح بلاده ليعيش الناس هنا أو هناك فى وئام وسلام . . .

والحق أن ((أبا جعفر عبد الله ــ المنصور)) يعد مفخرة فى جبين الدولة العباسية ، وهو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة العظيمة ، أقام لها شامخ البنيان على ركائز رصينة من أخلاقيات الاسلام، وتعاليم دينه وثقافته العميقة ، كما كان فى شبابه المبكر يختلف الى حلقات الفقهاء والمحدثين ، ويغترف من نبع فضلهم وعلمهم وهو اذ أصبح ذات يوم فوجد نفسه أماما وخليفة للمسلمين ، ارتكز فى سياسته على ما وعاه قلبه واشربت به روحه من خشية الله فيما يسر أو يعلن .

كما رأى ان يكف عن قتال بني أمية بعد أن كفاه أبو العباس طوال سنوات خلافته الاربعة ، مؤنة القضاء على شوكتهم ، فأصبح لا هم يشغل ((المنصور)) منذ تولى الخلافة ، الا تثبيت دعائمها واعلاء مناراتها والحفاظ على ملكها ، ولو دفعه ذلك الى أن يستعين بغير العرب الخلص ، على نقيض ما حرص عليه بنو أمية بأن يستعين العرب بالعرب .

وبنى المنصور مدينة ((بغداد)) لتكون حاضرة الخلافة العباسية ،ولتغدو بعد ذلك كعبة القصاد من ممالك الشرق والغرب ، وأنفق على تشييدها ثمانية عشر ألف ألف دينار ،وحشد اليهاالعلماء والفقهاء من كل بلد واقليم ، فأمها الناس أفواجا ، ولم تزل تتعاظم ، ويزداد عمرانها حتى غدت عروس الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة الاسلامية ، وأربى قطانها على مليونين من الانفس يتعاطون شؤون التجارة والعلم والتثقيف وكل ما يتصل بالحياة التي انفتحت عليها أسباب الرغد والأمان والعيش الرخى . . .

وهدأت انفاس المنصور بعد أن فرغ من بناء بغداد ، وتطامن فؤاده بعد أن خلص ممن كان يخشى بأسهم من المقربين اليه ، وكان على قائمتهم عمه ((عبد الله ابن علي » و « أبو مسلم الخرساني » صاحب دعوة العباسيين فى خراسان .

ثم صفا الجو لأبي جعفر المنصور ، وانقشعت من سماء خلافته غيوم كثيرة، وحين يتلفت حواليه يجد ملك المسلمين قد انفسحت رقعته وامتدت سطوته ، واذا بحضارة الاسلام تغزو الممالك قبل أن تغزوها الجيوش .

كان شغله فى صدر النهار أن يجلس فى ايوانه يستطلع أخبار الولايات ، ويناقش أصفياءه وخلصاءه فيمن يوليه

هذا الثغر أو من يعزله عن تلك الولاية ، ثم ينظر فى أمن السبل وطرق القوافل والتجارة وشؤون الخراج والنفقات ومصلحة معاش المسلمين حتى اذا انقضى النهار جلس الى أهل بيته يلاعب الصغير، ويداعب الكبير ، ويقضي حوائجهم فى غير اسراف .

وفى الليل بعد أن يصلى العشاء الآخرة ، يجلس الى سماره من ذوى الفضل والعلم يشاورهم ، وينظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والآفاق ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه ، وانصرف سماره ، فاذا مضى الثلث الثاني من الليل ، نهض من نومه فاسبغ وضوءه ، وصف محرابه ، حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس .

وتمضي الايام والاعوام بالمنصور وهو يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ولآخرته كأنه يموت غدا ، فيملأ خزائن الدولة بالاموال ، ويؤمن عيش المسلمين ، ويشيد المدن والقصور والمساجد ودور العلم ، ويجعل من بغداد حاضرة العباسيين كعبة أخرى تأتيها الوفود من أطراف الدنيا وآفاق الارض لتنهل من علوم الاسلام وحضارته ، ثم تذيعه بعد ذلك على العالمين .

ولا ينسى المنصور آخرته ، فيشخص ما استطاع سبيلا فى كل عام الى حج بيت الله . حتى كان ذلك الموسم من الحج للعام الثامن والاربعين بعد المائة للهجرة . .

تجهز المنصور للسفر الى مكة يصحبه أهل بيته بعد أن وكل الى ولده وولى عهد الخلافة ((محمد المهدى)) أن يرعى الامور فى غيبته بالحق والموعظة الحسنة. وحطت قافلة الخليفة على بطحاء مكة بعد سفر شاق من بغداد الى أرض الحجاز وضربت الفساطيط فى نظام وقور وشكل مهيب ، وتميز فسطاط أمير المؤمنين بضخامته وعلو راية الخلافة على هامته . ومنذ أول يوم لوصول قافلة المنصور ، أقبل العلماء والفقهاء والشعراء من مكة ومن المدينة يسلمون على خليفة المسلمين ،ويقضون فى مجلسه وسمره أوقاتا طيبة يناقشون أمور الدين والدنيا ، ويضرعون الى الله أن يهدي الناس ، وأن يقيمهم على البر والخيرات وصالح الأعمال .

أركان الملك

ويسأل المنصور ذات مساء عن ((أبي حنيفة النعمان)) الذى افتقده منذ وصولهم ، فأجاب الربيع الحاجب : انه منذ جاء معنا الى مكة وهو لا يغادر الحرم ، وان شاء أمير المؤمنين بعثنا فى طلبه . قال المنصور : بل دعوه وشأنه ، فما حاجته الينا وقد جئنا نبتغي جميعا رضاء الله ومغفرته . وامتد السماط ليتناول المنصور العشاء مع خاصته ، وقبل أن تمتد الايدى الى الطعام ، دخل الربيع يعلن وقوف أبي حنيفة بالباب ، فأذن الخليفة بدخوله على الفور .

ولم يصب ابو حنيفة من طعام المنصور شيئا ، وانتحى مجلسا قريبا منه يتمتم بالادعية ويتلو من كتاب الله آيات بينات:

ولما فرغ المنصور من طعامه ، أقبل على أبي حنيفة يسأله عن حال المسلمين فى مكة : ويدور حديث عذب بين الجالسين ، ويستمع المنصور فى شغف الى حديث الفقهاء فى مجلسه ، ويتوجه ابو حنيفة الى المنصور يسأله عن تتمة حديثه الذى بدأه فى بغداد ليلة السفر

عن أركان الملك التي لا يصلح الا بهـا ، فيبتسم المنصور ويقول : جزى الله أبا حنيفة خيرا أن أثار هذه المسألة فمـا أحوجني وأنا أمين على هذا الملك العريض الى أن يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم قال أبو حنيفـة : ومن همهؤلاء الأربعة يا أمير المؤمنين ؟؟.

سكت المنصـور لحظـة ، ثم تلاقت أنظار من في المجلس على وجهه ، ثم قال : هؤلاء الاربعة هم أركان الملك ، ولا يصلح الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم ، اذا نقصت واحدة تداعي السرير ثم تهاوى . أمـا أحـد الاربعة فقاض لاتأخذه في الله لومة لائم ،والثاني صاحب شرطة ينصف الضـعيف مـن القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني ، أمـا الرابع ...

وهنا سكت المنصور برهة ثم عض على أصبعه ثلاث مرات وقال : آه مـن هذا الرابع ...

قال ابو حنيفة : من هو ذلك الرابع يا أمير المؤمنين ؟ قال المنصـور وهـو ينفرس في وجـه ابي حنيفة : الرابـع صاحب بريد يكتب عن هؤلاء الثلاثة على صحة ...

وانفض مجلس المنصور في تلك الليلة، وأراد ابو حنيفة أن ينصرف الى شأنه فأشار اليه الخليفة ان يبقى معه ليصحبه في الطواف حول الكعبة .

ولما شارفا مكان المسـجد الحرام ، بهرهما المشهد الفريد لآلاف الضارعين والساجدين والطائفين بالكعبة ، بينمـا القناديل المضاءة من حولهم تكاد تجعل الليل نهارا ..

وسمعا دعاء الحجيج الى رب الكعبة والناس ان يحفظ لهم دينا أخرجهم من الظلمات الى النور ، وهو بعد ، خير دين أنزل للناس .

رأى المنصور الناس من كل بلد ولون وجنس لا فـرق بينهم في هـذا المقام المهيب حيث لا يتقدم غني على فقير ولا قوى على ضعيف ، وانما الكل سواسية يذكرون الله ، ويرفعون الـى سـاحته أكف الضراعة ان يقبل توبتهم وان يقيل عثرتهم وان يهديهم الى صراط مستقيم .

في جوار الكعبة

وبينما المنصور وابو حنيفة يطوفان بالكعبة ، رأى المنصـور رجلا في ركـن قريب يتطلع الى السماء ولم يلبث أن سمعه يقول في ضراعة : ((اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفسـاد في الارض ومـا يحول بين الحق وأهله من الطمع)) .

جزع المنصور من دعاء الرجل ، فلم يكمل طوافه ، وخرج فجلس في ناحية من المسجد مهموما ، ولمـا أقبل الربيع حاجبه طلب اليه أن يذهب الى صاحب الدعاء ويدعوه الى لقاء خليفة المسلمين ، ثم أشار الى أبي حنيفة أن يجلس قريبا منه ليسمع معه حديث صاحب الدعاء .

ذهب الـربيع الحاجب الـى حيث يجلس الرجـل وابتدره قائلا : سمعك أمير المؤمنين تشكو الى الله ظهور البغي والفساد في الارض وقد أراد أعزه الله ان يراك وان يسمع اليك .. قال الرجل

في هدوء رصين : قد كنت أشكو الى الله وليس الى المنصور . اذهب عني أصلحك الله .

أدرك الربيع أن الرجل واحد من الزهاد ، وان الجدال معه لا طائل من ورائه ، فلم يكن امامه الا أن يستفزه ، ويثيره فقال له : أراك تخاطب الله ، ولا تخشى لقاءه ، فحرى بك الا تهاب لقاء عبد من عباده الصالحين . هيا ، وقم معي الى لقاء أمير المؤمنين فهو حظوة للسعداء . وهنا طلب الرجل الزاهد من حاجب الخليفة ان يمهله حتى يصلي ركعتين ، ثم يذهب معه الى حيث يجلس خليفة المسلمين دون ان ينتبه اليه أحد.

وسلم الرجل على الخليفة ، وهنأه بسلامة الوصول الى أرض الله المقدسة، ثم سكت ، فدعاه المنصور ان يجلس قبالته فجلس . قال المنصور في وداعة : سمعتك في طوافي تشكو الى الله ظهور البغي والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فوالله لقد حشوت مسامعي بما أوجعني .

قال الرجل : قد شكوت الى الله وحده ، ولم أشك الى المنصور .

قال المنصور : اعلم ذلك ، وما من سلطان لي عليك في هذا الحرم ، انما أحببت ان تعين لي بعض ما تراه من البغي والفساد لعلنا نقدر على الا يكون في أيامنا بغي او فساد .. قال الرجل وهو يرفع عينيه الى وجه المنصور : يا أمير المؤمنين .. ان امنتني على نفسي أنبأتك بالامور من اصولها ، والا احتجزت منك واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل ..

قال المنصور على مسمع من الربيع ومن ابي حنيفة : أنت آمن على نفسك ، فقل ما تحب ان تقوله ولا تبق شيئا مما تحدثك به نفسك .

وسكت الرجل برهة كأنما يستجمع ويرتب أفكاره ثم قال :

ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لهو أنت يا خليفة المسلمين ...

تعجب المنصور من جراة الرجل ، وكادت وداعته ان تزايله ، لكنه كظم ما يدور في أعماقه ثم قال : ويحك .. كيف يدخلني الطمع بينما ذهب الدنيا في يميني وفضتها في شمالي ، وعندى من الطعام حلوه وحامضه . ؟

أجاب الرجل : وهل دخل احد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين واموالهم ، فأغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها، وقويتهم بالرجال والسلاح ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ولا أحد الا وله في هذا المال حق معلوم .

وهنا تململ الربيع الحاجب ، وهم بالوقوف ، لكن المنصور نظر اليه بوجه صارم ، فعاد الى جلسته الاولى ، ثم اتجه بجوارحه الى الرجل وقال : اني مصغ اليك يا أخي فهات كل ما عندك .

استأنف الرجل حديثه بعد أن حدج الربيع بنظرة نافذة :

وأعلم يا أمير المؤمنين ان هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت الا يحجبوا عنك ، لما رأوك تجبي الاموال وتجمعها ، ولا تقسمها قالوا عنك . . هذا قد خان الله، فما بالنا لا نخونه ، وقد سجن لنا نفسه، ثم انهم ائتمروا فيما بينهم الا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما أرادوا . واذا ما خرج لك عامل يخالف أمرهم ويقضي بين الرعية بالحق والعدل ، عابوه عندك حتى تسقط منزلته : ويصغر قدره . فلما انتشر ذلك عنك وعن بطانتك والمقربين اليك بلا حجاب ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان اول من صانعهم بالهدايا والاموال عمالك ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك من غير بطانتك ، ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من هم دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل .

وسكت الرجل برهة ونكس رأسه الى الارض ، ثم رفع عينيه بغتة الى المنصور ، فلمح فى عينيه دموعا توشك ان تنساب على صفحة وجهه الا ان الخليفة تمالك نفسه ، واندفع يقول فى صوت متحشرج : ويحي من نفسي ومن حساب الآخرة . ولكنك تعلم يا أخي ، ويعلم المسلمون فى أقطار الارض انني أجلس الى الناس فى كل يوم لاسمع مظالمهم ثم انفذ كلمة الحق بينهم . فما الذى تنكره علينا فى ذلك ، ولكل امرىء قلب ولسان يتحدثان عنه فى السر وفى العلانية ؟

ابتسم الرجل الزاهد ، واحس المنصور بمرارة تحبس فى صدر الرجل هي افصح من اى كلام ، ثم قال الزاهد : اصلح الله أمير المؤمنين وجمله بالعافية. الذى نعلمه انه اذا جاءك متظلم ، حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، حتى اذا بلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم الا يرفع مظلمته اليك اذا كان المشكو منه واحدا من بطانتك او من يلوذ بهم . ولا يزال المظلوم يختلف الى صاحب المظالم الذى اقمته ، ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه . واذا ما أفلح المظلوم فى ان يلقاك وان يصرخ بين يديك شاكيا ، ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر . الا ليت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يعلم قصة ملك الصين فى هذا المقام . .

ملك الصين

وسكت الرجل لحظة ريثما يأذن المنصور بالحديث عن ملك الصين ، ثم ارسل المنصور نظره الى ساحة الحرم ، فرأى اسراب الحمام الابيض تقف على اكتاف المصلين تارة ، وتحط على ظهور الساجدين تارة اخرى ، بينما عمد أكثر الحجيج الى النوم ساعة من الليل ريثما يؤذن لصلاة الفجر .

وأحب المنصور حقا ان ينصت الى حديث الرجل عن ملك الصين فقال :

ليس أحب الينا من سماع حديثك عن ذلك الملك الذى يعيش هناك فى أقصى المشرق لعل فى ذلك عظة وعبرة .

قال الرجل : قد كنت يا أمير المؤمنين اسافر الى بلاد الصين فقدمتها مرة وقد اصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال: لست أبكي للبلية النازلة بي ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا اسمع صوته . اما اذ ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب . نادوا فى الناس . . على كل متظلم ان يرتدى ثوبا احمر . وكان هذا الملك يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر فى الناس ، ثم يدعو اليه كل من يلبس ثوبا احمر ، وينظر بنفسه فى ظلامته .

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه . وأنت مؤمن بالله ومن أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطفل يسقط من بطن امه وماله على الارض مال ، ولست بالذى تعطي ، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء . وان قلت انما اجمع المال لاشيد السلطان ، فقد أراك الله عبرا فى بني أمية ما أغنى عنهم مالهم ، وما جمعوا من الذهب والفضة ، وما أعدوا من الرجال والسلاح حتى اراد الله بهم وبكم ما أراد .

لم يقو المنصور على أن يوقف مسيل الدموع من عينيه المخضلتين ، بل اخذ ينشج فى صمت ، ويمسح عبراته بينما ابو حنيفة والربيع ينظران الى الرجل تارة والى المنصور تارة اخرى ، حتى اذا ما هدأت نفس المنصور ، واسترد جأشه قال لمحدثه : يا ليتني لم أخلق ، ويحك كيف احتال لنفسي لتغلب حسناتي سيئاتي يوم الحساب ؟ .

قال الرجل يجيب على تساؤل المنصور : يا أمير المؤمنين ان للناس اعلاما وأئمة يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك .

قال المنصور : قد بعثت اليهم فهربوا مني وتباعدوا عني .

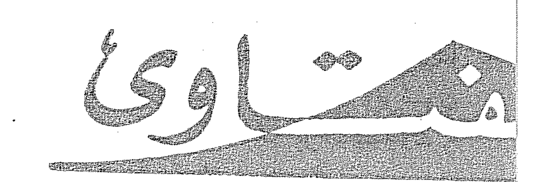
قال الرجل : خافوا ان تحملهم على طريقتك ، ولكن عليك ان تفتح بابك وتسهل حجابك ، وان تنصر المظلوم وتقمع المظالم ، وأن تأخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ثم تقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عنهم ان يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .

وانطلق صوت المؤذن لصلاة الفجر فقام الناس واصطفوا للصلاة ، ثم عاد المنصور الى فسطاطه والوجوم يكسو وجهه والهم يجثم على صدره ، لم ينم لحظة ، وظل يتقلب على فراشه نهبا لافكاره الثقيلة حتى طلع الصباح .

واعتزم المنصور فى نفسه امرا . اعتزم ان يستعمل ذلك الزاهد أمينا على الخراج وشؤون مظالم الناس ولو أغضب فى ذلك كثيرا ممن يشاورهم او يعهد اليهم مصالح المسلمين .

وحين دخل اليه الربيع الحاجب طلب اليه ان يبعث بمن يحضر رجل الامس ولم يكاشف حاجبه بما يعتزم . وذهب الربيع فى صحبة غلمانه وخدمه يبحثون عن الرجل الذى طلبه خليفة المسلمين .

غابوا طيلة النهار يروحون ويجيئون بين الحجيج يتفرسون ويسألون ، ولكنهم لم يعثروا على أثر للرجل . .



المكان لمن سبق

السؤال : ـ

ما حكم من يحجز مكانا فى الصف الاول فى المسجد بمسبحة ونحوها وهل يجوز لمن سبق أن يصلي فى هذا المكان المحجوز ؟ .

الاجابة : ـ

المكان فى الصف لمن سبق ، وحضر بنفسه : وشغل المكان ، ولم يؤثر عن السلف الصالح ، أنهم فعلوا ذلك .

وقد أنكر الشيخ تقي الدين بن تيمية هذا العمل ، وقال رحمه الله : وأماما يفعله بعض الناس من تقديم المفارش الى المسجد فى أول الوقت أو قبله ، فتفرش له ، ويقعد هو الى أن يمتلىء المسجد بالناس ، ثم يأتي كان غاصبا لذلك المكان الذى فرشت فيه السجادة. وقال رحمه الله يجوز لمن سبق أن يرفع السجادة أو المسبحة التي وضعها الغير ، ويصلي فى هذا المكان لأن الانسان مأمور بسد الفرج فى الصف .

طلاق الناس

السؤال : ـ

حلفت بالطلاق أنه ليس معي الا دينار ، ثم تبين أن معي أكثر ، وعند الحلف كنت اعتقد أنه ليس فى حافظتي الا دينار فهل يقعهذا الطلاق ؟ .

الاجابة : ـ

قال الله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . والحلف فىهذه الحالة حلف عن يقين أو على غلبة الظن ، فقد حلف على شيء يظن صدقه ، فظهر خلافه ، فلا حنث ولا يقع هذا اليمين لأنه لم يقصد المخالفة . هذا ظاهر مذهب الشافعية ورواية راجحةعنالامام أحمد وبه أفتى ابن تيمية .

خير الصداق أيسره

السؤال : ـ

خطبت ابنة عمي فطلب والدها « ٥٠٠ دينار » مهرا ، وليس فى استطاعتي . فهل يحرم عليه ذلك ؟ .

الاجابة : ـ

المهر لا حد لأكثره ولا حد لأقله ، وقد ترك الشارع تقديره للناس تبعا لظروفهم المادية والاجتماعية ، فهو يختلف باختلاف الزمان وأحوال الناس وتفاوتهم ، وصداق كل انسان على حسب حاله وحال من يريد التزوج بها .

وقد دعا الشارع الى تيسير المهور وعدم التغالي فيها . قال صلى الله عليه وسلم « أخف النساء صداقاأعظمهن بركة » وعن أبي هريرة قال : « كان صداقنا اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر أواق وقيمتها أربعمائة درهم » . وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كم كان صداق رسول الله ، فقالت : كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية. وقيمتها خمسمائة درهم.

فالمغالاة فى المهور خلاف السنة قال صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

قاتل نفسه

السؤال : ـ

ما حكم من قتل نفسه ؟ .

الاجابة : ـ

قتل الانسان نفسه أفظع أنواع القتل وأشدها عقوبة ، لأنه يأس من رحمة الله وهدم لبنيان بناه الله واذا كان الله سبحانه قد توعد بالعذاب الشديد من قتل غيره فقال سبحانه : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » فان‌هذا الوعد الشديد والعذاب الاليم جزاء من يقتل نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ « يضرب » بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو متردد فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل ممن يدعي الاسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل ذلك الرجل قتالا شديدا ، فأصابه جراح ، فقيل : يا رسول الله : الذى قلت آنفا أنه من أهل النار قد قاتل قتالا شديدا وقد مات . فقال صلى الله عليه وسلم الى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك اذ قيل له : انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة ، فلما كان الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ ذباب سيفه فتمايل عليه ، فقتل نفسه ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله أكبر ، أشهد أني عبدالله ورسوله . . » .

تأخير الصلاة عن وقتها

السؤال : ـ

هل يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لتاجر لا يمكنه عمله من أدائها فى وقتها ؟ .

الاجابة : ـ

الصلوات الخمس المفروضة لها أوقات معلومة بدءا ونهاية قال تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وقد بينت‌السنة‌الصحيحة‌هذه الاوقات ، والاشتغال بالتجارة لا ينهض عذرا فى تأخير الصلاة‌عن وقتها ، واخراج الصلاة عن وقتها كبيرة من الكبائر . قيل فى تفسير قوله تعالى : « فخلف من‌بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » ليس‌المقصود بهم الذين يتركون الصلاة ، بل المقصود بهم الذين يصلون ولكنهم يؤخرونها عن أوقاتها .

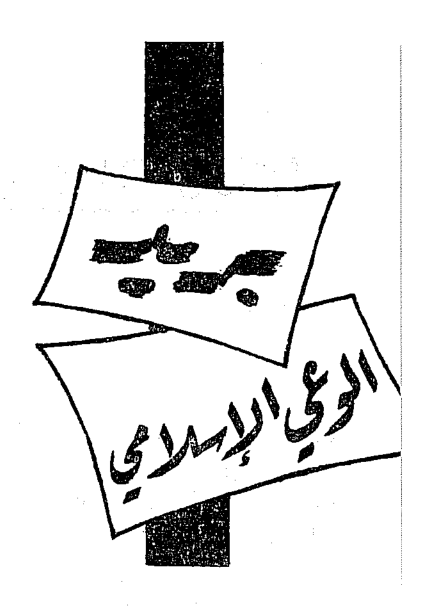
الـزار

السؤال : ـ

زوجتي مريضة بمرض عصبي وطلبت أن أقيم لها حفلة زار ـ فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

الاجابة : ـ

يكثر الدجالون والمشعوذون فى‌البيئات المتخلفة عقليا ، ولهم حيل وأساليب شيطانية فى التأثير على السذج وضعاف العقول وخاصة السيدات ، وكثيرا ما يقع فى حبائل هؤلاء النصابين بعض المرضى والمريضات بأمراض عصبية فيلقون فى روعهم أن فى استطاعتهم علاجهم بالزار وهذا علاج ما أنزل الله به من سلطان ، وهو محرم شرعا لما يحدث فيه اختلاط الرجال بالنساء وشرب‌الدم المسفوح ، وصبغ الجسم به والرقص والمفاخرة والاسراف ، وتعريض المريض للهلاك ، والطريق المشروع للعلاج هو طريق الطب والله يقول : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .



تلقت المجلة رسائل كثيرة من السادة القراء فى الأقطار الاسلامية والعربية يعربون فيها عن رغبتهم فى الحصول على الأعداد السابقة من المجلة ، كما وصلتنا رسائل أخرى يستفسر فيها أصحابها عن قيمة الاشتراك وكيفيته .

وعلى الرغم من أننا أجبنا على كثير من هذه الرسائل على هذه الصفحات أو فى ردود خاصة فلا يزال يرد الى المجلة كثير منها ، ومع تقديرنا للمشاعر الطيبة التي تسود هذه الرسائل فاننا نوجه نظر أصحابها الى أن الأعداد السابقة من المجلة نفدت وأن قيمة الاشتراك وكيفيته مبينة فى كل عدد منها .

السودان

تلقينا من الزميل الاستاذ حسن نجيلة بصحيفة الرأى العام بالخرطوم رسالة مطولة جاء فيها :

ان هذه المجلة القيمة منذ صدورها حتى الآن لم يرسل منها عدد واحد للسودان وان الاعداد التي ارسلتموها باسمي هي الوحيدة التي دخلت السودان وكان لها صدى عظيم مما جعلني أطلب منكم برقيا ارسال مائة نسخة وقد أحلتموني على شركة التوزيع ، وكنت أحب أن يكون للسودان موقف خاص لديكم فى مجال التعاون لنشر المجلة لظروف عديدة .

ومهما يكن من أمر فاني ما زلت أرى مراجعة الأمر وتخصيص مائتي نسخة شهريا لنا ، وأؤكد لكم أني سأرفع العدد الى خمسمائة نسخة .

وأؤكد لكم مرة أخرى أني أؤمن بالمجلة وأهدافها ، وأننا فى حاجة اليها لمحاربة التيارات الدخيلة والأفكار الالحادية التي تنتشر بيننا .

الوعي : نحيي فيكم هذه الغيرة الاسلامية ونشد على أيديكم ، ونحن معكم على الطريق ، وسنعمل لتحقيق مطلبكم .

* * *

ووصلتنا رسالة من المديرية الاستوائية بجنوب السودان بعث بها الأخ محمد خير الأمين من جوبا يقول فيها :

أهنىء وزارة الأوقاف بالكويت على اصدار مجلة الوعي الاسلامي الغراء وقد لقيت هذه المجلة منا كل اقبال وترحاب لما تحمله من وعي اسلامي رشيد ، يغذى القلوب ، وينير العقول ، ويزيد المؤمنين ايمانا ، ويشرح صدور غير المسلمين لهذا الدين الحنيف .

واني أرجو للمجلة كل توفيق حتى تحقق الغاية التي انشئت من أجلها سائلا المولى العلي القدير أن يعين المسلمين أفرادا وجماعات على اظهار الحق وازهاق الباطل ، ونشر النور وتبديد الظلام ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

المملكة العربية السعودية

ووصلتنا رسالة من الأستاذ عثمان الصالح

مدير معهد العاصمة النموذجي بالرياض — جاء فيهـا :

ان مجلة الوعي الاسلامي الغراء ينبوع فياض من ينابيع الاسلام ، وفيض غزير من حكمته وهدايته وارشاده ، وكنت بها مسرورا ولا سيما لصدورها عن الكويت الشقيقة التي تربطنا بها روابط الجوار والدين والعروبة . وهذه المجلة دعوة خالصة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الجمهورية العراقية

وأرسل السيد شاكر عبد الكاظم حبيب من الديوانية بالجمهورية العراقية يقول :

لقد كان لصدورمجلة الوعي الاسلامي سرور بالغ فى نفسي ، واني لأبارك هذه المجلة ، حيث أن مولدها كان فى الوقت المناسب وصدورها من أعظم الأعمال الناجحة لنشر الدعوة الاسلامية .

اسأل الله أن يجعلها مفتاحا للعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية .

الجمهورية العربية المتحدة

وأرسل الينا الشاب المسلم عاطف محمد صادق من حلوان ج.ع.م الرسالة التالية ننشرها كاملة لأنها على بساطتها تنطوى على معان كبيرة يفيض بها قلبه العامر بالايمان .

تحية طيبة من قلب يكن لكم الحب والاخلاص ، ونفس تعترف بعملكم المخلص لمصالح المسلمين وخيرهم وبعد :

فأنه يطيب لي أن أعرب لكم عما يختلج فى صدرى من الاكبار والتعظيم للمجهودات الضخمة التي تبذلونها فى المجلة لاقناع القلوب الحائرة وأرواء النفوس المتعطشة للهداية والارشاد . هذا واني احرص كل الحرص على اقتناء مجموعة الوعي الاسلامي ، فقد اقتصدت من (مصروفي) الخاص المبلغ المطلوب للاشتراك ، وذهبت الى مكتب بريد حلوان لارسل لكم حوالة بالمبلغ ولكنهم قالوا ان هذا ليس من اختصاصهم ، فحزنت لذلك حزنا عظيما ...

والمجلة : تحيي هذه الشبيبة المسلمة ونرجو أن تكون مثالا لشبابنا فى التعلق بالاسلام والتفهم لمعانيه ونلفت نظر الأخ الى أنه يمكنه الاشتراك فى المجلة عن طريق مندوبنا فى القاهرة الاستاذ محمد عبد الله السمان وعنوانه القاهرة — ص.ب (١٤٨٣) .

ردود قصيرة

*** الأخ سعيد محمد الشمالي من السالمية بالكويت**

نشكرك على رسالتك الرقيقة ، وقد نشرنا الاجابة على سؤالك فى باب الفتاوى من هذا العدد .

*** الأخ محمد عبد الحليم غربية من الكويت .**

تفصيل ما جاء فى مائدة القارىء من العدد الخامس سنعرض له فى الأعداد القادمة .

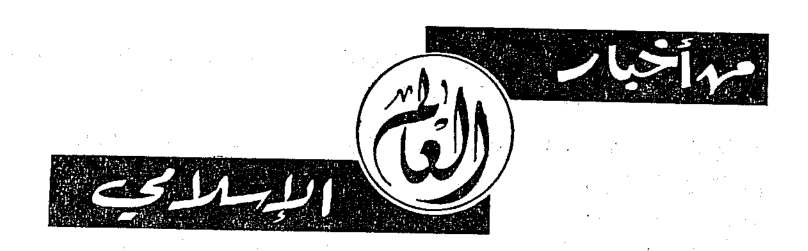
*** السيد شرف الدين احمد حنفي نصار من شبرا — الجمهورية العربية المتحدة .**

فى المستقبل القريب — ان شاء الله سنخصص بابا للمسابقات .

استدراك ..

● فى العدد الخامس السابق ص ٨ ذكر فى الآية عمود ١ ((اوف بعهودكم)) وصحتها ((بعهدكم))

● اكتشفنا فى طبع الغلاف خطأ فى ((جمادى الآخرة))فطبعت((جمادى الآخر)) .. عفوا ..



مؤتمر القمة الثالث

اجتمع مؤتمر القمة للملوك والرؤساء العرب بالمملكة المغربية فيما بين الاثنين ١٣ سبتمبر الى ١٧ منه .. وأصدر قراراته فى كل ما يتصل بالشؤون العربية والعالمية مما اطلع عليه القراء فى الصحف اليومية ..

((والوعي الاسلامي)) حين تبارك هذه الجهود التي يبذلها الملوك والرؤساء للنهوض بدولهم ، وجمع كلمة العرب وتوحيد صفوفهم لمجابهة قوى الشر التي تتربص بهم ، ولتطهير أراضيهم من الغاصبين . لتتوجه الى الله العلى القدير أن يرعى هذه الجهود ويوفق القادة لابرازها الى حيز الوجود عملا بناء يلمسه كل عربي وينشرح صدره له كما ترجو الله سبحانه أن يوفقهم لدعم ميثاق التضامن العربي وتصفية الجو من كل ما يعكر الصفو ويثير الخلافات حتى يسير العرب جميعا صفا واحدا الى أهدافهم الكريمة ...

الكويت

أدلى سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف بتصريح لصحيفة الرأى العام الكويتية جاء فيه — ان الوزارة أدرجت فى مشروع ميزانيتها الجديدة ٦٦/٦٧ مبلغ مائتي الف دينار لطبع القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية التي سترسل الى الدول الافريقية — هذا فضلا عما خصص لمساعدة هذه الدول فى مجال الشؤون الاسلامية .

* أصدرت لجنة احياء التراث بوزارة الارشاد والانباء الكتب الآتية —

الكتاب	المؤلف
١ — الذخائر والتحف	للقاضي الرشيد بن الزبير
٢ — الاضداد فى اللغة	لمحمد بن القاسم الأنبارى
٣ — المصون فى الأدب	لأبي الحسن بن عبد الله العسكرى
٤ — العبر فى خبر من غبر	للحافظ الذهبي
٥ — رسائل الصابي والشريف الرضي	للشريف الرضي
٦ — مجالس العلماء	لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي
. — مآثر الأنافة	للقلقشندى
٨ — خلق الانسان	لثابت بن أبي ثابت
٩ — شرح ديوان لبيد	تحقيق الدكتور احسان عباس

١٠ — الجزء الأول من تاج العروس فى ٥٢٣ من القطع الكبير ويقع فى حوالي ٤٠ جزءا .

وتحت الطبع الآن كتاب النبات . لأبى حنيفة الدينورى

*** وتلقى معاليه رسالة من الدكتور محمد الشريف عيدروس رئيس المجمع الاسلامي فى مقديشو عاصمة الجمهورية الصومالية يشرح فيها ظروف الدعـوة الاسلامية بالبلاد ، ويطلب معاونة دولة الكويت فى بناء المجمع الذى يضم عدة مدارس ومكتبة وقاعة للمحاضرات .**

* مساحة المدينـة السـكنية التي ستنشئها وزارة الأوقاف بالمدينة المنورة للحجاج الكويتيين (٩٦٨٣٩٧) متـرا مربعا ، وسيلحق بهذه المدينة مقر البعثة الطبية الكويتية .

* تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لمدارس كمال الاسلام فى الفيليبين وبمبلغ ألف دينار للجمعية الاسـلامية ببغداد .

* وجهت حكومة ماليزيا دعـوة الى الكويت لايفاد مندوبين عنها للاشتراك فى الاحتفال الرسمي الذى سيقام بمناسبة افتتاح مسجد نقارا ــ المسجد الوطني ــ فى كوالا لمبور .

القاهرة

*** رشـح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر مديرا للمركز الاسلامي بلندن .**

*** بدأ هدم قبة طائفة البهائيين التي صدر قرار جمهورى بحلها منذ خمس سنوات لانحرافها . القبة كانت تعلو مقر البهائيين فى ميدان مستشفى الدمرداش وهو الذى منحته الدولة للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريـم ، ليكون مقرا لها ومركزا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم . وسيبنى مسجد بجوار المقر .**

*** ستقدم مراقبـة جنـة الأطفـال بالتلفزيون برنامجا دينيا جديدا بعنوان ((مع الله)) فى حلقات متتالية تتناول كل منها شرح احدى قواعد الدين الاسلامي شرحا تفصيليا . كمـا تحكي الحلقـة موقفا خالدا من مواقف الاسلام .**

*** طلبت وزارة الثقافـة السوفيتية الى مكتبة الاسكندرية تزويدها بصورة من مجموعة المخطوطات القديمة التـي الفها رائد علم البصريات ، العالم العربي ابن الهيثم . ومما يذكر ان ابن الهيثم يتحدث فى بعض أجزاء هذه المخطوطات عن طبيعة البقع القمرية .**

مكة المكرمة

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ (٩٤/٠٠٠) جنيـه اسـترليني لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع اصلاح المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، ومما يذكر أن تـكاليف هذه المرحلـة تبلـغ (٣٥/٠٠٠) جنيه استرليني .

* كما تبرعت بمبلـغ (٣٧/٠٠٠) ألف ريال لجمعية المسـلمين اليابانيين فى طوكيو .

* تقوم الرابطـة الاسـلامية بمكة بترجمة معاني القـرآن الكريـم للغـة اليابانية ، وستعرضها قبل الطبـع على المختصين بهذه اللغة وفى علوم التفسير لمراجعتها .

بغداد

*** تبرعت الجمهورية العراقية بمبلغ عشرين ألف دينار للمسـاهمة فى بنـاء مسجد جمعية محمد الأمير الاسلامية فى بيروت .**

الجزائر

*** بلغ عـدد المعاهد الدينيـة التي انشأتها وزارة الأوقـاف خمسـة عشر معهدا بها أربعة آلاف طالب ، ويدرس بها مواد شرعية عربية وحديثة .**

*** بلـغ عدد الـكتاتيب التي تحفظ القرآن أربعة آلاف ، وعدد طلبتها يزيد على خمسين الف طالب .**

*** ترسـل وزارة الأوقاف دروسـا بالمراسـلة مجانـا فى التوحيد والفقـه والسيرة والاخلاق وبلغ عدد المراسلين ثمانية آلاف .**

بقية اعرف عدوك

٤ : ـ تتكلمون عن (اسرائيل) والحكومات العربية ، وهذا قول هراء ، (فاسرائيل) هي فلسطين ... فلسطين المحتلة ، وحين يتم تحريرها ستعود عربية من جديد .

ان العرب يقولون ... فلسطين عربية وسوف « يتم تحريرها في الوقت المناسب بعمل عسكري : وهذا ما يدركه وينتظره كل عربي ، ولا حل بديل له » .

وبعد أن أجابت أمانة سر « هيئة دراسات الشرق الأوسط » الكاتبة مانين على رسالتها ، عادت وتلقت رسالة أخرى منها .. جاء فيها ... :

« انني أعلم أن هيئتكم تؤمن بأن من الممكن التوصل الى حل سلمي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لانني قرأت نشرتكم ، غير أن ما تقترحونه لا يرضى به العالم العربي الذى ينشد استعادة فلسطين جميعها ، لتعود ثانية عربية فيها حكومة فلسطينية » .

« ان هذا ليس هدف الفلسطينيين المشردين الذين أبعدوا عن بلادهم فحسب ، بل هو هدف العالم العربي جميعه ، وليس على الأجانب الذين هم بمنأى عن الموضوع أن يعلّموا العرب ما يفعلونه في هذه القضية ، ومن السفاهة محاولة ذلك .

« هنالك الآن جيش تحرير فلسطيني، وفي الوقت المناسب سيتم تحرير فلسطين بالأسلوب ذاته وبالوسيلة نفسها التي تحررت بها الأقطار المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية ، أى بالسلاح » .

« نعم .. سيموت كثيرون ، ولكن ملايين العرب على استعداد لذلك ، مفضلين الموت على ظروف الحالة الحاضرة الجائرة المهينة » .

لقد اعتدت أن أكون مسالمة وعميقة الايمان باللاعنف ، ولكني لمّا أعد كذلك بعد ، ولم أدرك الآن فقط أن هنالك سبيلا وحيدا لاستعادة الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين لحقهم .

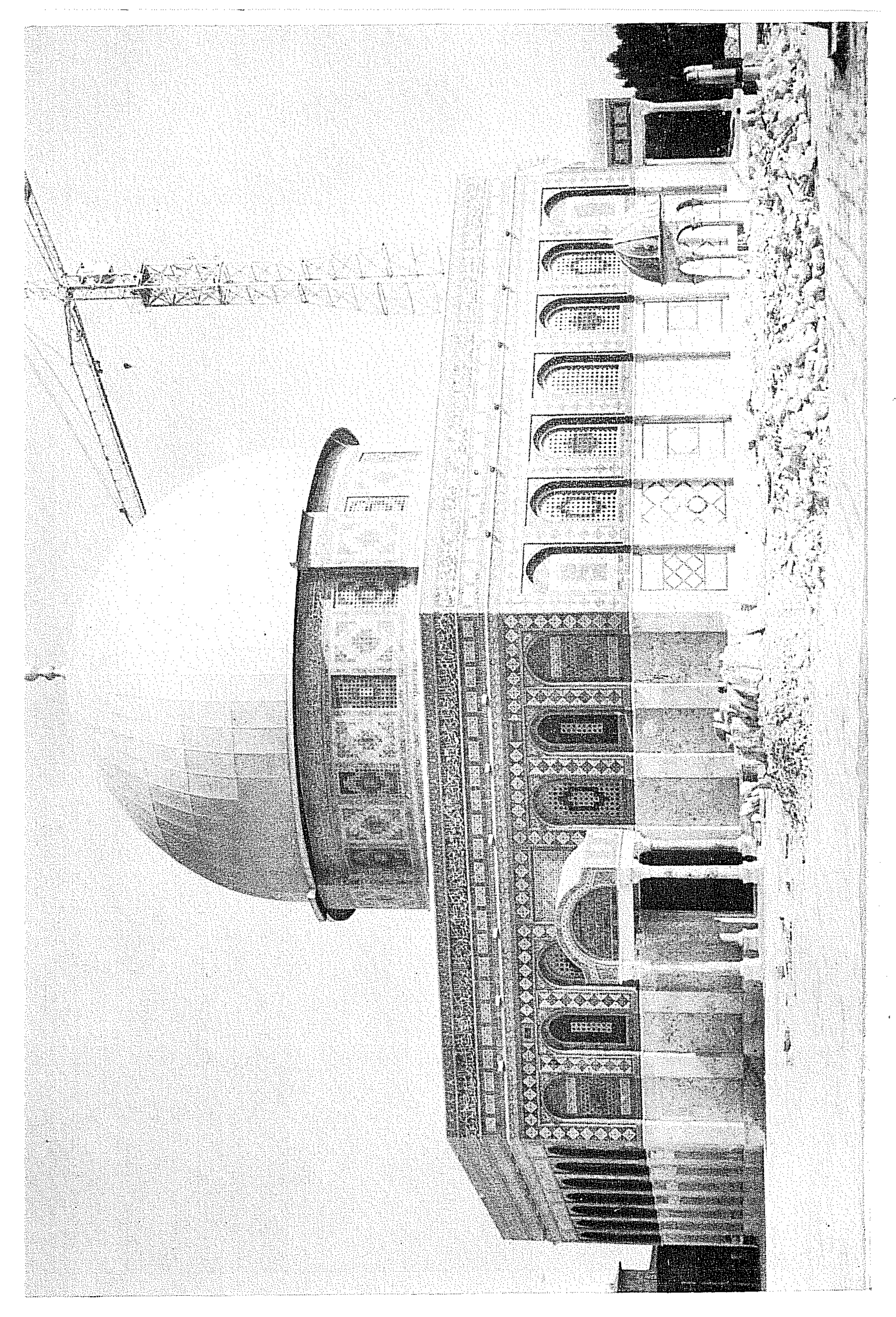
« يجب أن « تلغى » (اسرائيل) ، كانت البلد فلسطين وللفلسطينيين ويجب أن تعود ثانية كذلك ، ولا داعي لأن نكون عاطفيين فيما يتعلق بالعنف في هذه الناحية . ان العرب ليسوا كذلك ، وليس لهيئتكم أو أية هيئة أخرى حق البحث عن « حل سلمي » ، فالفلسطينيون والعرب جميعهم يعرفون الحل ، ولا يوجد حل سواه ... » .

وقد تابعت الكاتبة رسالتها فرفضت رجاء لحضور اجتماع « هيئة الدراسات ... » .

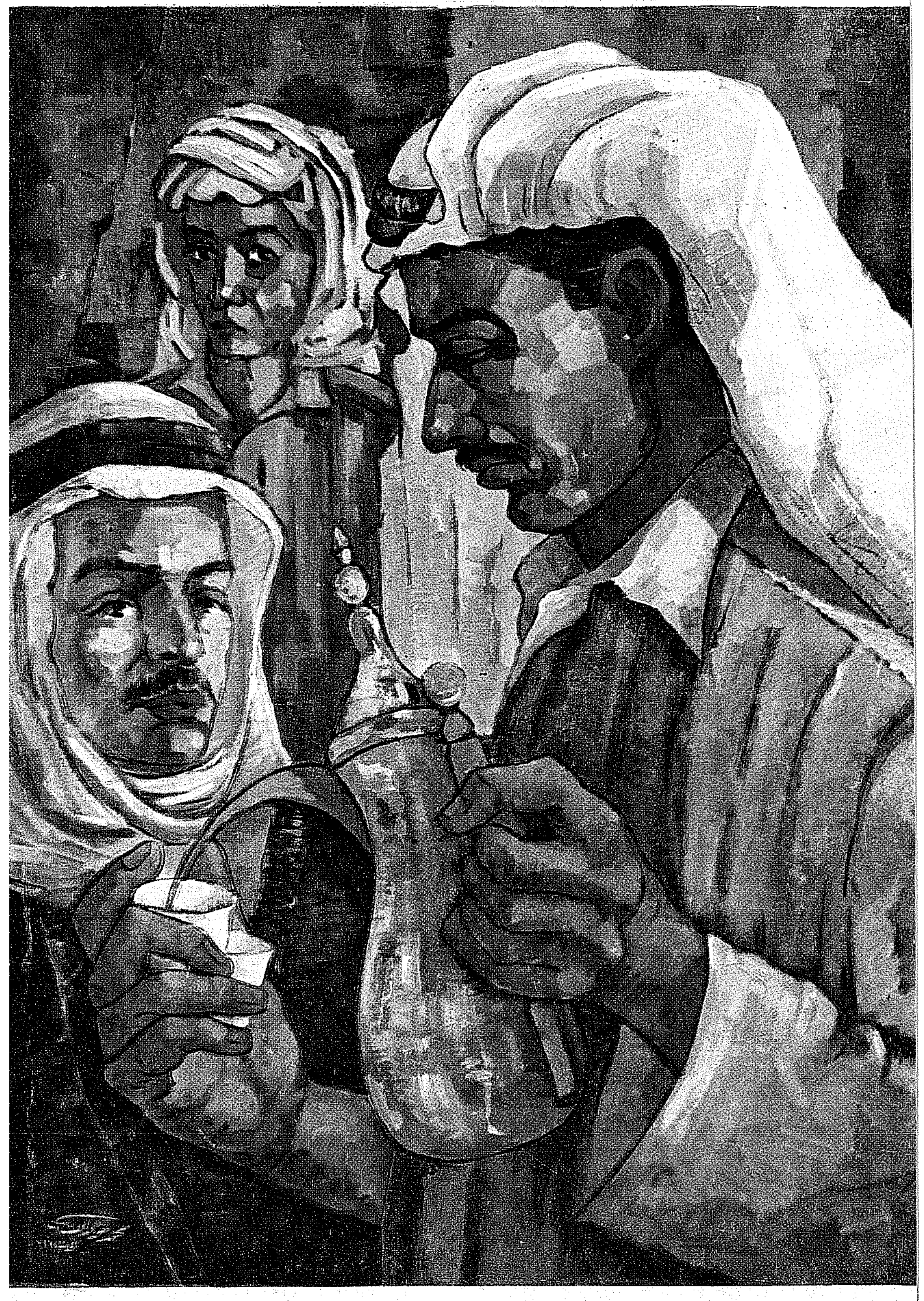
« لا أستطيع تحمل الاستماع الى الكثير من الهراء الوهمي حول الحلول السلمية . فأنا أعرف العالم العربي والشعور العربي ، وأنا كليا مع أعضاء حركة تحرير فلسطين ، وهم يقبلونني واحدة منهم ، انني الآن مواطنة شرف فلسطينية ، وهذا ما أفخر به .

« انني غير مهتمة بمساعدة « هيئة الدراسات » ولكنني أهتم فقط بتحرير فلسطين ... » .

● من نشرة فلسطين التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية .



قبة الصخرة المشرفة — سننشر تحقيقا عنها في العدد القادم



ساقى القهوة لوحة زيتية بريشة محمد مؤذن